الفصل الأول

من أسرار الحذف

الحذف فن عظيم من فنون القول ، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعاني ، ترى به ترك الترك أفصح من الذِّكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم بيانًا إذا لم تبن[1] .

وقد أشاد البيانيون كثيرًا بفن الحذف ، وأفصحوا عن ملامحه الجمالية فقعَّدوا له القواعد ووضعوا الشروط وأظهروا المزايا .

وكان لمظاهر الحذف في القرآن الكريم أكبر عون للبلاغيين على تعرف جهاته ، ورصد حالاته وكشف أسراره مقيسًا عليه كل فن بليغ وأدب ممتع .

● **شروط الحذف :**

كل حذف لا بد فيه من شرط وسبب ..

أما الشرط فقد أجمعوا على أن الحذف لا يُضار إليه إلا إذا بقيت في الكلام قرينة تدل على المحذوف ، حتى لا يصبح البيان ضربًا من التعمية والغموض ، لأن شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة ، وهذا الشرط ضروري لا يُحمد إغفاله ، لأن الحذف إذا لم يكن فيه ما يدل على المحذوف ـ ويعينه أحيانًا ـ جار على اللفظ والمعنى ، والألفاظ ـ كما قالوا ـ أوعية المعاني فلا بد من ملاحظتها مذكورة أو محذوفة دل عليها دليل[2] .

---

(١) إعجاز القرآن : عبد القاهر الجرجاني ص ٧٠.

(٢) لا يشترط البلاغيون عند حذف الفاعل ، وإقامة المفعول مقامه أن يكون هناك دليل على الحذف لأن الفاعل عمدة لا بد من ملاحظته وإن حذف ، ولأنه قد أقيم مكانه عوض ، فهم يكتفون فيه بتوفير الداعي إلى الحذف مثل «قتل الخارجي» لأن الأهم قتله لا مَنْ قتله : المطول لسعد الدين التفتازاني ص ٦٨ .

وأما السبب فهو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى ترجيح الحذف على الذِّكر ، أو وجوبه ، إذا كان أدل على فخامة المعنى ، وسعة تصوره في بعض المواضع ، وفي هذا ـ أعني الداعي إلى الحذف ـ يكمن السر الجمالي في التعبير لكونه مظهرًا من مظاهر مقتضى الحال ، والتصرف في إلقاء الكلام ، ومظاهر الحذف في القرآن الكريم كثيرة جدًّا لكن البلاغيين اتجهت عنايتهم إلى حذف المعفول به أكثر من غيره ، لأن اللطائف فيه أكثر وأعجب[1] .

ويمكن تصنيف الحذف في القرآن الكريم على الوجوه الآتية :

١- حذف حرف .　　٢- حذف كلمة مفردة .

٣- حذف جملة .　　٤- حذف فقرة كاملة .

وأرى أن دراسة الحذف فيه على هذا المنهج أضبط من المنهج الذي سار عليه ابن الأثير في « المثل السائر » ، حيث قسَّم الحذف إلى نوعين :

أولهما : حذف الجمل ويقع في أربعة أنواع .. وستأتي طريقته .

ثانيهما : حذف المفردات ويقع في أربعة عشر نوعًا ، وقد أورد في حذف المفردات بعض الحروف ، والحرف لا يعد مفردًا ، وكان الأولى أن يبحثه تحت عنوان « حذف الأداة » .. كما أنه أدخل ما هو أكثر من جملة في حذف الجملة ، وحذف الجملة في حذف المفردات[2] ، لذلك آثرت هذه الطريقة إذ يبدو أنها أكثر ضبطًا .

أولاً : حذف الحرف

وقد جاء حذف الحرف في القرآن الكريم في مواضع متعددة ، ولمعرفة حذفه فيه ـ فيما أرى ـ ضابطان ، **الأول** : دلالة الحرف المحذوف على معنى مع بقاء هذا المعنى بعد الحذف . **والثاني** : اعتبار الحرف محذوفًا بالقياس على موضع آخر مماثل ورد فيه الحرف دون حذف .

---

(١) المثل السائر لابن الأثير : ٢/٣٠٤ .

(٢) المرجع السابق : ٢/٢٧٩ وما بعدها .

فمن النوع الأول : حذف حرف النداء «الياء» كثيرًا في القرآن الكريم حيث لم يأت في القرآن أداة نداء سواه ، ولأن العلماء صرَّحوا على أن أداة النداء إذا حذفت وجب أن يقدر المحذوف ياءً ؛ لأنها أم الباب[1] .

وقد التزم القرآن الكريم حذف أداة النداء «الياء» مع كلمة «رب» خاصة في كل موضع وردت فيه على هذا الوجه إلا في موضعين :

الآية (٣٠) من سورة الفرقان ، وهي قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠) .

والآية (٨٨) من سورة الزخرف ، وهي قوله : ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزخرف:٨٨) . وقد قصر الدكتور أحمد أحمد بدوي إذ يقول :

«وعلى كثرة ما نودي الرب في القرآن لم أعثر عليه مسبوقًا بحرف النداء إلا في تلك الآية الكريمة : ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزخرف:٨٨) .

«ويبدو أنه لم يتتبع مواضعها ، وإلا لم يقع في هذا القصور حيث صرَّح بسبقه في آية الزخرف فحسب»[2] .

وقد اهتدى الدكتور بدوي إلى تعليل مقبول لسر حذف أداة النداء «الياء» مع «رب» إذ يرى أن سر الحذف فيه للمبالغة في تصوير قُرب المنادَى «رب» حيث إن معناه : المربي والسيد والمالك ، وهو بهذه المعاني من شأنه أن يكون قريبًا حاضرًا لا يحتاج في ندائه إلى وسائط .

● **لماذا حذف «يا» مع «رب» ؟**

ونضيف إلى ما ذكره الدكتور بدوي : إن هذه الكلمة «رب» أكثر استعمالاً من غير في الدعاء ، فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع في الألسنة ، وأسهل في مجاري الحديث .

---

(١) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام .

(٢) انظر : كتابه من بلاغة القرآن ص ١٦٩ .

ولم يقتصر حذف أداة النداء في القرآن الكريم على كلمة «رب» فحسب، بل جاء ذلك في مواضع كثيرة غيرها مثل: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (يس: ١، ٢).

ومثل: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه: ١، ٢).

ومثل: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ (يوسف: ٢٩).

والأصل يا يس ويا طه ويا يوسف .. وقد كسا الحذف ـ هنا ـ العبارات فخامة وخلابة.

● **إيثار «الياء»:**

ولعل السر في إيثار القرآن لحرف النداء «يا» دون غيره؛ لأن هذه الأداة تكون الوسيلة الطبيعية في النداء، إذ هي أكثرها استعمالاً عند الخاصة والعامة، ولأنها أم الباب، ولأنها أخف أحرف النداء في النطق، لأنها تبدو في خفة حركتها كأنها صوت واحد، لانطلاق اللسان بمدها دون أن يستأنف عملاً.

أما الأربع الأخر ـ وهي الهمزة وأيا وهيا وأي ـ فإن كلا منها يبدأ بحرف من حروف الحلق، وهي أثقل الأصوات نطقًا.

● **حذف «لا» مع «تفتأ»:**

ومن حذف الحرف في القرآن الكريم إسقاط «لا» في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٥).

والتقدير: لا تفتأ تذكر يوسف.

ويرى الزمخشري ومَن تابعه أن الحذف هنا حصل لا من اللبس، والكلام مسوق للنفي إذ لو كان إثباتًا لوجب اللام والنون فيه، فترك ذلك دليل على بقاء النفي وإن حذفت أداته.

وقال ابن المنير في حاشيته على الكشاف في الموضع المذكور: «وحذف «لا» النافية للمضارع بعد القَسم كثير لأمن اللبس».

وقد استشهد الزمخشري بقول امرئ القيس :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

هذا حاصل تخريجهم للمسألة .

ولكن ألا يرد عليهم هذا الاعتراض وهو : إن جواز الحذف ـ هنا ـ في الصناعة النحوية لا يمكن أن يكون تفسيرًا بلاغيًا لتوجيه المعنى ، وأيًا كان أمر الحذف في الآية والبيت فإنه ليس مستوى الطرفين ، بل الإثبات أرجح منه لأنه الأصل ، فلابد ـ إذن ـ من تلمس وجه آخر غير الجواز النحوي يرجح من حيث المعنى الحذف على الذِّكر .

● **سر حذفه :**

وهذا الوجه ـ كما أراه ـ أن حرف النفي في الآية الكريمة «لا» محذوف لضيق المقام لأن الأزمات النفسية عند إخوة يوسف قد بلغت ذروتها في هذا الموضع ، ويكفي أن يستحضر الإنسان الآيات السابقة على هذه الآية للتأكد من صحة ما أراه ، ويكون الجواز النحوي حينئذ ترشيحًا ومساندة لما نذكر :

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٨١-٨٦).

فقد تجمعت ـ هنا ـ آثار الجريمتين : فَقْد يوسف ، واحتجاز أخيه بنيامين ، وتفجرت في نفس يعقوب عليه السلام عواطف اليأس والرجاء ، وظهر ذلك على ملامحه وأعرض عن إخوة يوسف غير آبه بما يقولون ، شاكًا في قولهم

في مقام يفيدهم فيه التصديق ، جائرًا بالشكوى إلى الله يكاد الأسى يمزق قلبه وهو شيخ كبير افترسه شعور الحزن على وليدين محبوبين .

هذه المواقف المويئسة كان لها أثر بالغ على إخوة يوسف فضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكان حسنًا من القرآن ـ وهو يُعبِّر عن تلك الحالات النفسية الدقيقة ـ أن يكون في التعبير نفسه ما يشير إلى تلك الحالات أبلغ وأوجز إشارة . . وكان التعبير كذلك .

أما ما ذكروه عن امرئ القيس .. فإن موسيقى الشِّعر . وما كان فيه الشاعر من موقف يترقب فيه الخطر ، فإن من الخير له أن يستبدل بالكلمات الهمسات وبالهمسات الإشارات خوفًا من أسماع وأعين الرقباء .

وهذه حالة شبيهة بتلك ، ناسبها أن يخرج التعبير على الصورة التي جاء عليها في الموضعين .

ذلك ما أراه لائقًا لتوجه المعنى ـ بلاغيًا ـ فوق الجواز النحوي .

أما النوع الثاني من ضابطي حذف الحرف ـ وهو النوع الذي يعتبر الحرف فيه محذوفًا في موضع قياسًا على موضع آخر جاء مذكورًا فيه ـ فإن أمثلة ذلك من القرآن كثيرة ...

● **حذف الواو وذكره :**

ومنها قوله تعالى في شأن أهل النار : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١) .

في هذه الآية حذف حرف الواو وقيل : «فتحت» بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل لهذا الموضع ، وهو قوله تعالى في شأن أهل الجنة : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر: ٧٣) .

● دلالة هذا الحذف :

الواو ـ إذن ـ محذوفة في الموضع الأول ، مذكورة في الموضع الثاني ، فما السر في الحذف هناك والذِّكر هنا ؟ وما الذي ترتب على الحذف والذِّكر من تغيير في المعنى وفي الإعراب ؟:

لقد كان لهذا الصنيع أثره في الموضعين ، ويمكن تلخيصه فيما يأتي :

١- حذف الواو في الآية الأولى محض ما بعدها للشرط ، فأصبح جوابًا لـ« إذا» ، أما ذكرها في الثانية فقد حمى ما بعدها أن يقع جوابًا للشرط ، ولوَّح بأن الجزاء محذوف ، ولأنه صفة ثواب أهل الجنة ، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف[1] .

٢- والحذف في الأولى دل على أن أبواب جهنم فتحت حين جاءوها ، لأن « إذا» ظرف لما يُستقبل من الزمان ، و« فتحت» جوابها ، والذِّكر في الثانية دل على أن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل أن يأتوها ، فلماذا ـ إذن ـ كانت أبواب جهنم مغلقة ثم فتحت حين جاءوها ، وأبواب الجنة مفتحة قبل أن يأتوها ؟

٣- والجواب : لأن جهنم سجن ، والسجن ذلك شأنه : حُرَّاس شداد ، وأبواب محكمة الإيصاد : ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ (البلد:٢٠) .

والجنة دار كرامة وتشريف ، فللترحيب بهم استعدت لهم قبل وصولهم ، ﴿ جَنَّتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (ص:٥٠) .

● موضع آخر لحذف الواو :

فتلك أسرار ثلاثة استفيدت من حذف حرف في موضع ، وذكره في موضع آخر مماثل .

ومثله في كون الواو محذوفًا في موضع ومذكورًا في آخر مماثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة:٤٩) .

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ٤/١١٤ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (إبراهيم:٦) .

وتوجيه التعبير في الموضعين ميسور ؛ لأنهما ـ وإن اتحدا في الغرض العام ـ فبينهما فرق واضح هو مكمن السر في الذِّكر والحذف .

فالآية الأولى تذكير من الله ـ مجرد تذكير ـ بما حدث لبني إسرائيل من بطش فرعون وآله .

وفي الآية الثانية يعمد موسى ـ عليه السلام ـ إلى تذكير بني إسرائيل بِنِعَمِ الله .. ويعدد عليهم تلك النِّعَم ، فلم يكتف بذكر الإنجاء ، بل مهَّد له من أول الأمر للتذكير فناسب ذلك تعداد النِّعَم ، والفصل بين آحادها ، فكأنه جعل سومهم العذاب محنة مستقلة نجاهم الله منها ، وعطف عليها غيرها .

لذلك جيء بالواو بين النوعين ، ومعروف أن العطف بالواو يقتضي المغايرة .. فلو ترك هذا العطف لصار السوم والتذبيح نوعًا واحدًا ، ويكون الثاني تفسيرًا للأول ، كما هو في الآية الأولى .

وإلى هذا المعنى أشار الزركشي في شيء من الإجمال[1] .

ومثله كذلك قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف:٢٢) .

فقد جاء « رابعهم » و« سادسهم ». بعد « ثلاثة » و« خمسة » بدون واو .. ثم خولف في « سبعة » هذا النسق ، حيث عطف عليها « ثامنهم » بالواو ، والمواضع الثلاثة متماثلة .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ١/١١٦ .

فلا بد من سر خفي اقتضى الحذف في الأولين ، والذِّكر في الثالث .. فما هو إذن ذلك السر ؟

● **توجيه النص مع الحذف وعدمه :**

تعددت الآراء في توجيه ذلك ..

ففريق يقولون : إنها واو الثمانية[1] .. ويذكرون على ذلك أمثلة من القرآن الكريم اتفق لهم فيها مجيء هذه الواو فيما هو مظنة ذلك ، منها : أن الله يقول في شأن أبواب الجنة : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر:٧٣) ، وفي أبواب النار : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ وأبواب الجنة ثمانية وأبواب النار ودركاتها ـ سبعة .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة:١١٢) .

وعدُّوا منها ـ كذلك : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (التحريم:٥) ، لأن «أبكارًا» ثامن كذلك ..

● **رد ابن المنير على هذا الرأي :**

وقد شنَّع ابن المنير على مَن يقول بواو الثمانية هذه ولم يرضه ، وناقش أدلتهم وانتهى من المناقشة بأن ما زعموه من وجود واو ثمانية في اللغة العربية غير مُسلَّم ، وأن كل واو جاءت في موضع مما يستدلون به هي لغير ما يرون ، فالواو في : ﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ للربط بين الصفتين المتعاطفتين ، ويؤيد رأيه بأن هذه الواو صاحبت هاتين الصفتين في جميع استعمالاتهما مثل : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (لقمان:١٧) . و﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (التوبة:٧١) ، والواو في قوله تعالى : ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ للتقسيم ، ولو حذفت لذهب المعنى المراد .

---

(١) واو الثمانية هي التي تعطف الثامن على السابع .

يقول ابن المنير مستخلصًا من كل ما سبق : « فقد وضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة لغير ما زعمه هؤلاء ، والله الموفق »[1] .

● **إضافة :**

ونضيف إلى ما ذكره ابن المنير ما يأتي :

إن الواو كما دخلت على : ﴿ وَٱلنَّاهُونَ ﴾ دخلت على ﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ ﴾ وهي التاسعة فهلا قالوا بأنها واو التسعة ، مشابهة لتلك ؟ وحيث لم يسغ لهم هـذا القول فما الفرق ـ إذن ـ بين الواوين الداخلتين على : ﴿ وَٱلنَّاهُونَ ﴾ ، ﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ ﴾ ؟

أرى أن ليس فيما ذكره حُجَّة لهم على هذه الواو المدَّعاة .

ويوجه الزمخشري ـ فيما يذكر ـ التعبير ، فيقول : « إن هذه الواو هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة ، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف .

وإن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الـذيـن قالوا : ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ قالوا عن ثبات علم ، وطمأنينة نفس ، ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم .

والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأوَّلين قوله : ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ وأتبع القول الثالث قوله : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2] .

وأقول : إن الذي ذكره الزمخشري توجيه صائب ، ورأي سديد لائق بكتاب الله تعالى ، وأنا مع مَن ينكر أن هذه الواو تسمى واو الثمانية ؛ لأنه حتى ولو سلَّمنا به لاحتاج الأمر إلى توجيه آخر هو :

لماذا اختصت اللغة العربية الثمانية بهذه الواو دون غيرها من الأعداد ؟

---

(١) على هامش تفسير الكشاف للزمخشري : ٢/٥٥٧ .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري : ٢/٥٥٧ (بتصرف في الصياغة) .

وأظن أن محاولة توجيه هذا الجعل الأخير لا يخرج عن تعليلات ليس تحتها طائل .

● **موضع ثالث لحذف الواو :**

ومن أمثلة حذف الواو وذكرها أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (الحجر:٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ (الشعراء:٢٠٨) .

فالموضعان متماثلان ، وقد ذكر الواو في الأولى ، وحذف في الثانية .. فما السر ؟

وقد رد ابن الأثير المسألة إلى مجرد الجواز من حيث الصناعة النحوية ، قال: «اعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد « إلا » ، يجوز إثبات الواو في خبره وحذفها ، كذلك قولك : ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب ، وإن شئت قلت : إلا عليه ثياب ـ بغير واو »[1] .

وكلام ابن الأثير على ما فيه من خلط بين الخبر والصفة لا يحل الإشكال لأن مجرد الجواز النحوي تخريج عام لا ينطبق على موضوعنا هذا إلا من وجه بعيد كما ترى .

ويقول الزمخشري : « هذه الواو ذكرت في آية الحِجْر لتفيد لصوق الصفة بالموصوف على نحو ما كان في قوله تعالى : ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (الكهف:٢٢)[2] .

● **هل توجيه الزمخشري مقنع ؟**

وكلام الزمخشري على ما فيه من قُرب إلى الصواب حيث حلَّل الفكرة تحليلاً مباشرًا ولم ينزلها على تخريج عام ـ مع هذه الاعتبارات كلها ـ لا يقنع

---

(١) المثل السائر لابن الأثير : ٢/٣٣٠ .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري : ٢/٤٤٤ .

الباحث لأنه يرد عليه سؤال مؤداه : لماذا رجح لصوق الصفة بالموصوف في الآية الأولى .. ورجح عدم لصوقها في الثانية ؟

والذي أراه في توجيه المسألة ـ بعد موافقة الزمخشري على أن الواو مفيدة للصوق الصفة بالموصوف ـ أن المقام في الأولى يقتضي التأكيد بخلاف الثانية ؛ لأن الصفة المراد إثباتها في الأولى كون القرابة ذات كتاب سابق قد أُنزل على رسولها لا الكتاب المحفوظ المقدَّر فيه أجلها ـ كما يقول الزمخشري ـ وذلك لأن الآية تهدف إلى أنهم أنذروا ولم يؤخذوا ظلمًا .

والصفة المراد إثباتها في الثانية كون القرية ذات منذرين ، وفرق بين الكتاب والمنذرين ، لأن الكتاب ليس له من قوة الظهور ما للرسل ، لذلك كان المقام في الأولى مقام تأكيد ، وفي الثانية ـ أعني ظهور المنذرين ـ لأنهم جماعة من الناس فهم في غنى عن التأكيد الذي احتاجت إليه الأولى ، فكان الذِّكر والحذف من أجلهما .

● **حذف حرف الجر «الباء» :**

ومثل ذلك ـ في غير الواو ـ حذف حر الجر «الباء» في قوله تعالى : ﴿ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران:١٨٤) .

قوله تعالى : ﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ (فاطر:٢٥) .

هذان موضعان متماثلان تمام التماثل ، وقد خولف بينهما ، فجاء التعبير في آية آل عمران بعطف ﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ و﴿ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ على ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ محذوفًا منهما حرف الجر «الباء» الداخلة على المعطوف عليه ، وهذا حسن وفصيح .

ثم جاء التعبير في آية فاطر مذكورًا فيه حرف الجر «الباء» في المعطوفين : ﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ و﴿ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ .

● توجيهي للمسألة :

ولم أر توجيهًا لأحد في هذا ... ولذلك فإني أوجهه ـ فيما أرى ـ على النحو الآتي :

أولاً : إن ذكر الحرف في المواضع الثلاثة ـ المعطوف عليه ، والمعطوفين ـ جاء في سورة «فاطر» وهي مكية النزول ، فهي إذن أسبق وجودًا بين الناس بهذا الاعتبار فهي مؤسسة للمعنى الوارد فيها بخلاف ما في «آل عمران» ، لأن «آل عمران» مدنية النزول .

ثانيًا : إن القوم في مكة يختلف حالهم عن القوم في المدينة من حيث الاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان ، فأهل مكة أهل عناد وتحد ، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة .

ثالثًا : هذان الاعتباران يفيدان أن المقام في مكة كان يقتضي التأكيد في المعاني لتقريرها ورسوخها لتتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها ، وعلى هذا جاء التعبير في «فاطر» المكية ، لأن تكرار حرف الجر في المواضع الثلاثة يشعر بتكرار المتعلق ، فكأنه قال : جاءوا بالبيِّنات ، وجاءوا بالزبر ، وجاءوا بالكتاب المنير .

وخلا التعبير المدني من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه لإسلام أهل المدينة وطاعتهم .

● صورة أخرى لحذف الحرف في القرآن :

وقد يأتي الحرف في القرآن محذوفًا على غير الصور السابقة ، ففيها كان الحرف المحذوف من الحروف التي ليست من بنية الكلمة كـ «واو العطف» و«باء الجر» و«ياء النداء» ، أما ما نحن بصدد ذكره فهو حذف حرف من بنية الكلمة ، فتأتي في موضع آخر على صورة أخرى .

ونكتفي في هذا النوع بذكر مثال واحد .

قال سبحانه في سورة البقرة : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨).

وقال في طه : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه:١٢٣) .

والشاهد في «تبع» و«اتبع» الأولى بدون همزة وبتخفيف الباء ، والثانية مقترنة بهما ، ولذلك سر فما هو ؟

● **توجيهات العلماء للمسألة :**

نقل عبد الغني الراجحي أقوالا للأئمة في توجيه هذا التعبير[١] ..

الإمام البقاعي يرى أن المقام في «طه» مقام تحذير ونسيان فشدَّد الفعل حثًّا على النشاط والجد وقد سبقه مباشرة : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ والمقام يتطلب أدنى اتباع وأقله ، وقد جاء جواب الشرط في الموضعين مناسبًا لدلالة الفعل فهو في طه : ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ ، وفي البقرة : ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بنفي الضلال والشقاء في الأول ، والخوف والحزن في الثاني.

ويقول الأنصاري : إن القصة في «طه» بنيت من أولها على القوة والمبالغة والتوكيد فناسب آخرها أولها[٢] .

ويقول ابن جماعة : إن التشديد في «طه» للتصريح بمعصية آدم وقد سبقه الاتباع مشددًا في نفس السورة [٣].

ويقول صاحب ملاك التأويل : « إن صيغة التخفيف في سورة البقرة حيث لم يتقدم في حكاية إغواء إبليس لآدم ذكر وسوسة الشيطان والاحتيال عليه ، وصيغة التشديد في «طه» حيث تقدمت وسوسة اللعين صريحة وسعة مكره

(١،٢) المناهج الجديدة في تفسير آيات الله المجيدة : دكتور عبد الغني الراجحي ص٧٨.

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ (طه : ١٠٨) .

واحتياله ، فكان المخفف بجوار ما لا تعمل فيه ، والمشدد بجواره ما فيه ذلك[1].

هذا ما ذكره الراجحي عن الأئمة السابقين ، وكل هذه التوجيهات تبدو وجيهة لا ريب وما منها إلا وهو لائق بالمقام ، والنكات ـ كما يقولون ـ لا تتزاحم ، فلتكن كلها مرادة للحكيم سبحانه خاصة وأن ليس بينها تدافع .

أما رأي الراجحي نفسه في الموضوع ـ والذي أراه معه ـ فهو أن المشدَّد كان مع أهل مكة ، والمخفَّف كان مع أهل المدينة ، ولا ينكر أحد ما بين البيئتين من فروق ، وكيف أن القرآن كان شديدًا في تعبيره مع أهل مكة ، رقيقًا فيه مع أهل المدينة .. ذلك هو منهج القرآن مع الفريقين .

ما سبق كان خاصًّا بحذف الحرف في القرآن سواء أكان خارجًا عن بِنية الكلمة أو داخلاً فيها ، وهي مُثُل مضروبة لا على سبيل الاستقصاء .

ثانيًا : حذف الكلمة المفردة

وخطة البحث هنا تجري على هذا النسق :

(أ) حذف الفعل . (ب) حذف الفاعل . (جـ) حذف المبتدأ .

(د) حذف الخبر . (هـ) حذف الموصوف . (و) حذف الصفة

(ز) حذف المضاف . (ح) حذف المضاف إليه .

١- حذف الفعل :

يأتي حذف الفعل في القرآن الكريم على ضربين :

١- ضرب يُحذف فيه الفعل دون تعويض ، ويبقى عمله من رفع ونصب .

٢- وضرب يُحذف فيه الفعل مع إقامة شيء مقامه ، وهو التعويض الذي نقصده ويكون الشيء المقام مقامه «العوض» على جهة الإبانة أو التفسير له ، وكل من هذه الأنواع لا يُصار إليها إلا لغرض بياني .

---

(١) المناهج الجديدة في تفسير آيات الله المجيدة ، دكتور عبد الغني الراجحي ص ٨٠ .

من ذلك حذف الفعل إذا وقع اسم مرفوع على الفاعلية بعد أدوات الشرط : « إن» و « إذا» .

مثل ذلك مطالع سور التكوير والانفطار ، والانشقاق ، ومواضع أخرى مثبوتة في ثنايا السور المختلفة :

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ (التكوير: ١-١٤) .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ (الانفطار: ١-٥) .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ (الانشقاق: ١-٦).

في «التكوير» حذف الفعل بعد أداة الشرط « إذا» في اثنى عشر موضعًا ، وولى الاسم مرفوعًا أداة شرط ، ثم فسَّر ذلك الفعل المحذوف بإعادته بعينه بعد الاسم المرفوع ، والفعل المحذوف في هذه المواضع هو فعل الشرط[1] ، ويجب تقديره في مثل هذه الاستعمالات لأن أدوات الشرط مختصة بالدخول على الأفعال دون الأسماء ، وذلك هو الأصح عند البصريين وبعض العلماء .

وفي «الانفطار» حذف الفعل بعد أربع أدوات للشرط ، وفعل فيه ما فعل في سابقه .

---

(١) جرينا ـ هنا ـ على مذهب البصريين ، أما الكوفيون والأخفش ـ من البصريين ـ فيرون خلاف ذلك .

وفي «الانشقاق» حذف في موضعين كذلك ، وفي كل بقى الفاعل مرفوعًا.

ودليل الحذف ما ذكرناه من مذهب البصريين من أن أدوات الشرط لا تدخل إلا على الأفعال .

● **سبب الحذف هنا :**

ذلك هو الدليل .. فما هو السبب ؟

إنه حذف لإرادة التأكيد المستفاد من تكرار الإسناد ، فالفعل في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قد أسند إلى الفعل مرتين ، مرة ـ محذوفًا ـ إلى الظاهر «الشمس» ومرة ـ مذكورًا ـ ضمير الفاعل «هي» .

فكأنه قال : إذا كُوِّرت الشمس كُوِّرت الشمس .. والمقام في كُلٍّ يقتضي التوكيد لغرابة الأفعال والظواهر المدلول عليها ، لأن الناس لم يشهدوا مثلها من قبل ، ولن يشهدوا ذلك إلا مرة واحدة يوم البعث .

وفضلاً عن غرابتها في نفسها ومخالفتها للسنن المعهود ـ فإنها تتصل بقضية البعث اتصالاً مباشرًا ، والبعث كان ـ كما نعلم ـ مثار جدل ومبعث إنكار والمناسب له التوكيد والتقرير ، وكان ذلك هو ما فعله القرآن ، وهذه السور جميعها مكيات النزول .

وقد جاء ذلك في سورة التوبة في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ (التوبة:٦) .. فقد اقتضى المقام هنا التوكيد لأن استجارة المشرك بعدوه المسلم مما يُنكر ويُستغرب ، فخرج الكلام مخرج التوكيد .

قال الزمخشري : «أحد» مرتفع بفعل الشرط مضمورًا يفسره الظاهر .. تقديره : وإن استجارك أحد استجارك ، ولا يرتفع بالابتداء[1] لأن «إن» من عوامل الفعل لا تدخل على غيره ، والمعنى : إن جاءك أحد من المشركين بعد

---

(١) يرد بذلك على ما يراه الكوفيون والأخفش من البصريين .

انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن ، وتبيِّن ما بعثت له فأمِّنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلِّع على حقيقة الأمر ، ثم أبلغه من ذلك داره التي يأمن فيها ، إن لم يسلم»[1] .

وترى أن الزمخشري لم يذكر سبب الحذف البياني ، وهو لا يخرج عما قلناه ، ويُحذف الفعل أحيانًا ـ ويُعوَّض عنه مصدره للدلالة على التأكيد كذلك ، وقد مَثَّل له ابن الأثير بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ (محمد:٤) .

فقد حذف الفعل وأُقيم مصدره مقامه ، والمعنى : فاضربوا الرقاب ضربًا .

قال ابن الأثير : «وفي هذا معنى التوكيد والمبالغة والاختصار[2] وجرى الزمخشري على هذا التوجيه»[3] .

وقد ناب المصدر عن فعله في موضعين آخرين في هذه الآية : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ . إذ التقدير : فإما تمنون مَنًّا ، وإما تفدون فداءً .. وفيهما ما في الأول ، ويبدو أن المقام مبني على الإيجاز لنزول هذه الآية في ظروف الحرب .

وقد يكون السر البياني في حذف الفعل هو الاختصاص كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة:٤٠،٤١) .

فقد حذف الفعل في الآيتين في فواصلهما : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ و﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ والمعنى : « إياي فارهبوا فارهبون ، وإياي فاتقوا فاتقون» .

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ١٩٣/٢ وما بعدها .

(٢) المثل السائر لابن الأثير : ٣٠٢/٢ .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري : ٢٥١/٤ .

قال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ هو من قولك : زيدًا رهبته ، وهو أوكد في إفادة الاختصاص من : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[1] .

فالاختصاص من تقديم المفعول « إياي» والتوكيد من تكرار الفعل المفسر ولعل هذا الفرق الذي قصد إليه الزمخشري بين : ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ ، و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لأن « إياك» منصوب بالفعل بعده لعدم اشتغاله بسواه و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ يفيد الاختصاص ـ دون التوكيد ـ لعدم إرادة تقدير فعل قبل « إياك» .

● إيضاح :

وفي عدى حذف الفعل ـ هنا ـ لإفادة الاختصاص مجاراة لما ذكره الزمخشري والسيد وصاحب المطول «وإلا فالحقيقة أن الاختصاص مستفاد من تقديم المفعول لا من التكرار ، بدليل وجود الاختصاص مع عدم التكرار المفهوم من الحذف» .

وإلى هذا يشير السيد في حاشيته على المطول فيقول : «وقدَّم المفعول عوضًا عنه ـ أي عن الشرط المحذوف ـ على أحد الرأيين مع كون تقديمه مفيدًا لأمرين أخريين : الاختصاص وصيرورة «الفاء» متوسطة في الكلام كما هو حقها ، فصار الكلام هكذا : « إياي فارهبوا ، ثم كرر الفعل تأكيدًا وقصدًا»[2].

● حذف الفعل اكتفاءً بآخره :

وقد يُحذف الفعل لوقوعه في خبر فعل آخر لكل منهما معموله في الكلام ، ولقوة اختصاص ذلك المعمول بفعله ، ودليل الحذف في هذا النوع هو العُرف اللغوي ، أو الشرعي .. فمن الأول قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ (يونس:٧١) والتقدير : فأجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم ، وقد جاء ذلك

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ١/٧٠ وما بعدها .

(٢) حاشية السيد على المطول ، للسيد الشريف ص ١٩٩ ـ ط . الآستانة .

صريحًا في قراءة ابن مسعود وأُبَيّ ، فقد نص على ذلك الزمخشري[١] ، وابن الأثير[٢].

فـ «أمركم» معمول «أجمعوا» .. و«شركاءكم» معمول الفعل المحذوف «ادعوا» ، والدليل هو العُرف اللغوي إذ لا يصح أن يتعلق «الشركاء» بإجماع الأمر والرأي .

أما السبب فإيجاز مع تكثير المعنى ، ولإخراج المعمولين المختلفي العامل مخرج المعمولين لمعمول واحد لسبق إجماع الرأي على دعوة الشركاء .. ولأن كِلا الأمرين مطلوبان لموقف واحد هو أن يتحدوا ما استطاعوا ضد نبي الله نوح عليه السلام ، ولينظروا بعد حشد كل ما يمكنهم من عوامل الانتصار مَن هو المنتصر ؟

والواو ليست عاطفة مفردًا على مفرد ، بل جملة على جملة ـ كما ترى ـ وعليه[٣] جاء قول الشاعر :

"علفتها تبنًا وماءً باردًا" — أي : وسقيتها ماءً باردًا

ومثله : «وزججن الحواجب والعيونا» . أي : وكحلن العيون ، لأن العُرف اللغوي يمنع من تشريك ما بعد «الواو» مع ما قبله في حكمه ، لأن الكل منهما متعلقًا خاصًا لا يصح تعليق الآخر به ، وجعل الفعل المذكور ـ في الظاهر ـ للمعمولين ـ وهو في الواقع لأحدهما ضرب من التعبير فيه خلابة وسحر .

ويرى الزمخشري أن «الواو» في الآية الكريمة ليست للعطف ، بل هي بمعنى «مع» ، ويرى أن مجيء الشركاء على هذا الوضع فيه معنى التهكم[٤].

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ٢٢٨/٢ .
(٢) المثل السائر لابن الأثير : ٣٠١/٢ .
(٣) أي على العُرف اللغوي .
(٤) تفسير الكشاف للزمخشري : ٢٨٢/٢ .

وكِلا التوجهين لا يأبه الأسلوب .

ومثال ما دل على حذفه العُرف الشرعي دون اللغوي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة:٦) . بنصب : « أرجلكم » .

فـ « أرجلكم » معمول لفعل محذوف تقديره : واغسلوا أرجلكم ، فالذي دَلَّ على الحذف وتعيين المحذوف ـ هنا ـ هو الشرع ؛ لأنه أفاد أن الرِّجل في الوضوء تُغسل ولا تُمسح كما يُمسح الرأس ، فلذلك لم يصح عطفها على « رءوسكم » لئلا تشترك معها في الحكم وهو فاسد كما ترى ، ولم تُعطف على « وجوه » للفصل بين المتعاطفين .

ولعل السبب إخراج الأعمال التي يقوم بها المتوضئ مخرج اليُسر والسهولة فكان الحذف من أجل ذلك .

● **الحذف للتحذير والإغراء :**

وقد يُحذف الفعل لإرادة التحذير أو الإغراء .

فمثال الأول قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾ (الشمس:١٣) .

أي : احذروا ، فحذف الفعل لما ذكر ، وللاختصار ـ مع كثرة المعنى .

ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة:١٠٥).

فحذف الفعل والتقدير : الزموا ، وعوَّض عنه اسم الفعل « عليكم » .

وقوله تعالى : ﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (النساء:١٧١).

أي : انتهوا واصنعوا خيراً لكم[1] ، فحذف الفعل دون تعويض وبقى معموله

---

(١) النحو الوافي : دكتور عباس حسن : ١٠٧/٤ ، وفي الآية وجوه أخرى .

منصوبًا على الإغراء ، والسر البلاغي في الموضعين هو ضيق المقام ، لئلا يصيبه مكروه في الأول ولئلا يفوته الخير في الثاني .

● **حذف الفعل إذا وقع جواب سؤال :**

وكذلك يُحذف الفعل إذا وقع جواب سؤال ـ أي ضمنه ـ لقيام القرينة على تعيينه .. وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (العنكبوت:٦١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزمر:٣٨) .

وتقدير المحذوف فعلاً في الموضعين أولى من تقديره خبرًا ، ليتطابق السؤال مع الجواب ، ولأن الكثير الغالب في جواب الاستفهام حذف المبتدأ كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ (القارعة:١٠،١١) .

﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ ﴾ (الحج:٧٢) ، والقول بأن الفعل المحذوف خبر جائز وتقدير الجواب على الوجهين : « ليقولن خلقهن الله » ، و« ليقولن الله خلقهن » .

ويؤيد هذا ما ذكره ابن هشام[1] عند تقدير المحذوف في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف:٨٧). حيث قال : « فلا يُقدَّر : ليقولن الله خلقهم ، بل خلقهم الله ، لمجيء هذا في شبه الموضع وهو : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف:٩) . وفي مواضع آتية على طريقته نحو : ﴿ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (التحريم:٣) . و﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (يس:٧٨،٧٩).

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام : ٦٥/٢ .

ودليل الحذف أو مسوغه هنا كونه مذكورًا في سياق جواب السؤال .. وهذا السؤال قد اشتمل على الفعل نفسه .

● **سبب هذا الحذف :**

والسبب البلاغي لهذا الحذف هو ـ والله أعلم ـ توفير العناية باسم الجلالة الذي هو المقصود الأهم ، ولتكثير الفائدة لاختلاف التقدير كما رأينا .

وقد جاء في سورة الزخرف مصرحًا في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف:٩) .

وهنا تبدو ملاحظة هامة ...

إن هذه السور الأربع التي ورد فيها هذا السؤال مكيات النزول ، وهذه مناسبة عامة لورود السؤال لما طُبِعَ عليه أهل مكة من جدل وعناد ، وإن السورة التي صرِّح فيها بالفعل في صدر الجواب ـ وهي لقمان ـ هي أول سورة نزلت من هذه السور الأربع ، ولذلك جاءت على الأصل ، بدون حذف شيء لأنها سورة مؤسسة ، وجاء الحذف فيما نزل بعدها اعتمادًا عليها .

وهناك مواضع كثيرة حُذِفَ فيها الفعل في التنزيل الحكيم ، ولكنها لا تخرج في مجموعها عن التأكيد والتقرير والاختصاص ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (يس:٣٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (النحل:٥) .

وخلاصة هذا الموضع : إن الفعل يُحذف ـ أحيانًا ـ في القرآن الكريم لداع بلاغي ، وهذا الحذف يتوافر له الدليل القوي الدال عليه والسبب المرجح له ، فهو صنيع حكيم ، وفن جليل من فنون التعبير لا تجد فيه إلا حكمة وإصابة .

٢- حذف الفاعل :

الفاعل ركن أساسي من ركني الجملة الفعلية ، ولذلك يمنع النحاة حذفه لغير عِلَّة صرفية أو يمنعونه مطلقًا[1] فالذِّكر هو الأصل فيه .

---

(١) انظر : الخضري جـ ١ ، وحاشية الصبان على الأشموني جـ ٢ . باب : « الفاعل .. موضع حذفه » .

فالعِلة التي من أجلها يحذفون الفاعل خاصة بما إذا كان الفاعل «واو جماعة» وقد أكد فعله بـ «نون التوكيد» أو «ياء المخاطبة» وقد أكد مثل سابقه ، والنحاة ـ غير الخضري والصبان ـ يوجبون الحذف في هذين الموضعين ، والجواز في سواهما[1] ، أما هما فيريان المنع مطلقًا وقد جاء ذلك كثيرًا في القرآن ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٦) .

فقد حذف الفاعل وهو «واو جماعة» في : «تموتن» و«لتسمعن» ، لأنه التقى ساكنًا مع نون التوكيد الساكنة «الأولى» فحذف للتخلص من التقاء الساكنين ، وبقى الضم دليلاً عليه .

ومثاله مع ياء المخاطبة : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ (مريم:٢٦) .

هذا قياس مطرد في كل ما كان شأنه كذلك ، وقد نقلت الرواية العربية حذفه لغير هذا في موضعين :

● **حذف الفاعل على غير قياس :**

أحدهما : في قول العرب : أرسلت ، وهم يريدون جاء المطر ولا يذكرون السماء التي هي فاعل الإرسال .

وثانيهما : قول حاتم الطائي :

أماوِيُّ مَا يُغْنِي الثَّراءُ عَلَى الفَتَى ... إذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

ومسوغ الحذف في الموضعين قرينة الحال القوية التي لا يلتبس معها معنى بمعنى ، ففي «أرسلت» الفاعل معروف وهو السماء ، لأن المطر لا يأتي إلا

---

(١) كما إذا كان الفعل مبنيًا للمجهول أو كان عامله مصدرًا أو غيرهما ، واقتضى الحذف داع بلاغي . . انظر النحو الوافي : دكتور عباس حسن : ٢/٥٩ .

من جهتها ، وفي «حشرجت» الفاعل معروف هو «النفس» لأنه لا يُحشرج ساعة الموت إلا هي[1] .

وقوة القرينة أمر هام بنوا عليه كثيرًا من الأساليب والأحكام اللغوية كتركهم علامة التأنيث في الصفات الخاصة بالمؤنث والتي لا يشاركه فيها المذكر ، مثل : حامل ، ومرضع ، وحائض .

● **مماثلة عجيبة :**

ومن روائع الصدف : أن حذف الفاعل جاء في القرآن الكريم ـ في غير ما ذكر ـ في ثلاثة مواضع منها موضعان شبيهان بالموضعين اللذين حذف فيهما عند العرب في المثالين المذكورين .

فالأول قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ (الواقعة:٨٣،٨٤) . ففاعل «بلغت» هو النفس ولم يجر لها ذِكر قبل حتى يُقال إنها مضمرة ، وهذا شبيه ببيت حاتم إذ الفاعل هناك النفس والفاعل هنا النفس ، وكلاهما حديث عن ساعة الاحتضار ، وهي القرينة الحالية التي دلَّت على الحذف وعيَّنت المحذوف .

ومثله قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴾ (القيامة:٢٦،٢٧) .

والموضع الثالث هو قوله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ (ص:٣٢) ، ففاعل : «توارت» هو الشمس في أرجح الأقوال[2] .

والشمس أكبر مظهر من مظاهر الطبيعة تسير في مسار ونظام دقيق لا يتخلف ، وهي أشرف وأعظم الأفلاك .. فحذفت في الآية لقوة ظهورها كما حذفت السماء في قول العرب السابق : «أرسلت» لأنها مثل الشمس ظهورًا

---

(١) انظر المثل السائر لابن الأثير : جـ ٣ : «حذف الفاعل» .

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري : ٤/٧٢ .

وعظمة ، وقوة القرينة مع الاختصار مرجح للحذف على الذِّكر لأن حذف ما يُعلم جائز ، كما يقول ابن مالك .

فهل بعد قوة القرينة من سبب بلاغي آخر للحذف أو لترجيحه على الذِّكر في هذه المواضع ؟

● **سبب حذف الفاعل فيها :**

إن السر البلاغي لهذا الحذف ـ فيما أرى ـ هو ضيق المقام ، إذ المقام في الأولين وصف ما يعتري المحتضر من عوارض الموت ، وفي الثالث المقام مقام شكوى وندم .

وقد سوَّغت قوة القرينة الحذف في موضع آخر وهو قوله تعالى : ﴿ **وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ** ﴾ (القيامة:٢٨). ففاعل «الظن» هو المحتضر إذ المقام يعنيه دون سواه ، وقد عبر عن شعور المحتضر بالظن دون اليقين ، لأنه لا يعلم مجيء الأجل إلا الله وإن قويت علامات الموت عند الناس ، فقد يتخلف ظنهم .

● **موضعان آخران لحذف الفاعل في القرآن :**

وفي القرآن الكريم موضعان آخران حُذِفَ فيهما الفاعل .

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ **لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾(الأنعام:٩٤). وقد اختُلِفَ في الفاعل هنا فبعضهم يرى أنه : «بينكم» ويقرأه حينئذ بالرفع بدل النصب على الظرفية المكانية ، وعليه فلا حذف .

وبعضهم يرى : أن الفاعل محذوف تقديره الأمر ـ مثلاً ـ حذف لقوة وإيحاء الفعل به[1] .

والموضع الثاني : ﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ** ﴾ (يوسف:٣٥) ، فالفاعل محذوف وهو المصدر المتصيد من الفعل ، والتقدير : ثم بدا لهم سجنه ، وهذا أليق من تقديره : ثم بدا لهم البداء ، لأن الفعل المذكور : «ليسجننه» أقوى دلالة على الفاعل المحذوف .

---

(١) من بلاغة القرآن : دكتور أحمد أحمد بدوي ص ١٦٩ .

● وما سر الحذف إذن ؟

أما الأول فأرى سر الحذف فيه إرادة التعميم ، ليقدروا ما شاءوا من صلات تعطلت كانت قوية بينهم ، أو أي أمر كان يجمعهم إلى آخر ما يحتمله المقام .

وفي الثاني وضعوا الفعل موضع الفاعل لدلالة الفعل على الاستقبال لأنه حال التفكير في الأمر واستقرارهم على أن يسجنوه لم يكن سجينًا ، وإنما سُجِنَ بعد إجماعهم على هذا الرأي ، ودلالة الفعل على الاستقبال ظاهرة ، ولو قال : «بدا لهم سجنه» لفات هذا المعنى .

ومعنى آخر صلح له الفعل دون الاسم هنا هو : أن الفعل أمكن معه تصوير حالتهم النفسية وإجماعهم الأكيد على سجنه وأنهم لن يستبدلوا به أمرًا آخر أخف منه فدخلت على الفعل لام القَسَم ونونه ، والاسم «سجنه» غير صالح لهذه الدلالات بداهة .

والدكتور أحمد أحمد بدوي يرى أن الحذف لمجرد أن الفعل شديد الإيحاء بالفاعل ، هذا صحيح ولكن ما رأيناه بجانب هذا أولى فيما أظن .

٣- حذف المبتدأ ، وحذف الخبر :

حذف أحد ركني الجملة الاسمية ـ المبتدأ أو الخبر ـ كثير شائع في الكلام العربي الفصيح وليس لديهم محظور في حذف أيهما إذا دلّت عليه قرينة ، واقتضاه داع بلاغي أو صناعي .

وحذفهما له أحوال شتَّى عند النحاة ، فقد يكون واجبًا ، وقد يكون جائزًا .. وقد حققوا كل هذه المواضع ووضعوا أصولها وقواعدها .

وهذا بخلاف حرصهم الشديد على عدم الحذف في الجملة الفعلية ، إذ يرون أن ذِكر الفاعل ـ دائمًا ـ واجب إلا فيما ذكرناه ، والفعل الأصل فيه الذِّكر ، وليست هناك حالة واحدة يجب فيها حذفه فالأمر فيه دائمًا محمول على الجواز .

فنظرتهم إلى ركني الجملة الفعلية غير نظرتهم إلى ركني الجملة الإسمية ـ كما رأينا ـ ولم أجد توجيهًا لأي أحد في سبب اختلاف النظرتين ، وإن كنت أرى أن الرابطة بين الركنين في الإسمية رابطة متكافئة ، فليس أحدهما فيها بأظهر من الآخر .

أما الرابطة بين الركنين في الفعلية فغير متكافئة ، لأنها ملحوظة في الفاعل بدرجة أقوى إذ هو موجد للفعل ، فيكون في حذفه إجحاف بالمعنى فلم يترخصوا فيه .

وفي القرآن الكريم مواضع متعددة وكثيرة جدًّا لحذف المبتدأ ، أو الخبر ، أو هما معًا .. وفي كل موضع حدث فيه حذف من هذا النوع فالحذف فيه سواء أكان واجبًا ـ كما ترى الصناعة النحوية ـ أو جائزًا .. فهو أحسن من الذكر .

خذ إليك ـ مثلاً ـ قوله تعالى في مطلع سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:١-٢) . فقد جاء فيه المبتدأ محذوفًا قبل قوله «هدى» والتقدير : «هو هدى» .

فلماذا الحذف ؟

أرى أن سر الحذف ـ هنا ـ أمران :

أحدهما : الإشعار بالاتصال المباشر بين «الكتاب» و«هدى» بعد جملة الاعتراض ولو ذكر فقيل : هو هدى ، لزال هذا الاتصال ، لأنه مع الذِّكر يكون «هدى» خبرًا عن ضميرًا لكتاب ، ومع الحذف فإن أول ما يقع في الذهن أنه صفة مباشرة له ، وكم بين هذا الكتاب وبين الهدى من اتصال ، حتى أوثر إنه هو الهدى نفس الهدى ، ولم يقل : «هاديًا» مثلاً .

ثانيهما : أن ذكر المبتدأ ـ هنا ـ يؤدي إلى نوع من الثقل اللفظي حيث يصبح التركيب : «فيه هو هدى» لاجتماع ثلاثة هاءات لم يفصل بينها إلا حرف واحد ، والهاء من حروف الحلق ، وحروف الحلق معروفة بالثقل .

هذا ما أراه ، وأرى في الوقت نفسه أن هذين الاعتبارين أولى مما ذهب إليه الدكتور أحمد أحمد بدوي من أن سر الحذف فيه خشية أن يبعث في النفس السآمة والملل لشدة وضوحه[1] .

ويحذف المبتدأ ـ كذلك ـ إذا وقع في سياق تقدم ذكره فيه ، فتكون إعادته تكرارًا لم تدع إليه حاجة ، وأمثلة ذلك كثيرة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ (المزمل:٧-٩) .

وقوله تعالى : ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾ (المدثر:٢٦-٣٠).

وقوله تعالى : ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾

(القارعة:٩-١١).

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾ (الهمزة:٤-٦).

وتقديم النظم في الآية الأولى : «وهو رب المشرق» .. وفي الثانية : «هي لا تبقى» .. «هي لواحة» .. وهكذا بقية النصوص .

وليس مجرد قوة الظهور هي السر في هذا الحذف ، إذ لنا في المثال الأول : «هو رب» أن نقول : إن الخبر المذكور لا يصح إسناده إلا لضميره ، لأنه ليس للمشرق والمغرب رب سواه وحذف المبتدأ محقق لتكثير الفائدة ، إذ يجوز تقدير كلمة «رب» خبرًا لمبتدأ محذوف هو «هو» ويجوز اعتباره بدلاً من «رب» الأولى في قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ (المزمل:٨) ، قال الزمخشري في تفسيره : قرئ ـ يعني «رب» الثانية ـ مرفوعًا

---

(١) انظر كتابه : من بلاغة القرآن ص ١٢٠ .

على المدح ، ومجروراً على البدل من «ربك» ، وعن ابن عباس : عن القَسَم بإضمار حرف القسم ، كقولك : الله لأفعلن ، وجوابه : لا إله إلا هو[1] .

فهذه معان ثلاث احتملها المقام بسبب الحذف .. ولو ذكر المبتدأ لاقتصى المعنى عليه دونما سواه .

وفي الأمثلة الثلاثة الأخر ، تقدم ذكر النار في أسماء لها وصفات ، فصارت ماثلة في الذهن ، لأنها عظيمة الشأن ، تملأ النفوس رهبة ورغبة ، رهبة من الوقوع فيها ، ورغبة في النجاة منها ، فكان هذا كافيًا في حضورها في الذهن عند الحديث عنها ، وفي هذا الحذف ترهيب لا يخفى أثره .

وفيه كذلك تعجيل المساءة لهم ، حيث حذف الضمير «هي» وعوجلوا بذكر النار أو بصفة من صفاتها المقبضة مثل : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ .

● **أسباب أخرى لحذفهما :**

ويحذف الخبر كذلك عند ظهوره وسهولة تعيينه مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (الطلاق:٤) .

فقد حذف الخبر من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ والتقدير : واللائي لم يحضن كذلك أو مثلهن ، فيكون الخبر محذوفًا وحده .

أو التقدير : فعدتهن كذلك ، فيكون المبتدأ والخبر محذوفين .. والذي سوَّغ الحذف هنا هو العطف بالواو ، لأن العطف يشرك المعطوف عليه فيما ثبت له من الإعراب والحكم .

ولذلك صرَّح بالخبر بعده في قوله تعالى : ﴿ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ لاختلاف أجل الحامل عن أجل غيرها : مَن هي يائسة من

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ٥١٢/٤ .

المحيض ، أو مَن لم تحض ، فذكر الخبر هنا واجب لأن حذفه يؤدي إلى فساد المعنى .

كذلك ورد حذف الخبر في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر:٢٢) .

وقبله حذف من نفس السورة «الزمر» في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر:٩) .

وكذلك جاء في سورة «فاطر» في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر:٨) .

هذه مواضع ثلاثة حُذِفَ فيها الخبر ، وفي «فاطر» قدَّر الزمخشري الخبر بقوله : «أفمن زُيِّنَ له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يُزَيَّنْ له»[1]؟

وتابعه النسفي على هذا التقدير ، ثم نقل عن الزجاج تقديرين آخرين ، قال : «وذكر الزجاج أن المعنى : أفمن زُيِّن له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرات ، فحذف الجواب لدلالة : فلا تذهب نفسك عليه .

أو : أفمن زُيِّنَ له سوء عمله كمن هداه الله ، فحذف الدلالة : فإن الله يضل من يشاء ويهدي مَنْ يشاء عليه»[2] .

وأقوم هذه الآراء ـ فيما أظن ـ الرأي الثالث مع احتمال الأسلوب لها جميعًا ، ولعل هذا هو سر الحذف في هذه المواضع : أن تختلف وجهات النظر فيكثر معها المعنى ويتعدد .

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ٤٧٣/٣ .

(٢) تفسير النسفي : ٣٣٦/٣ .

أما الموضعان اللذان في «الزمر» فقد قدر الخبر فيهما على النحو الآتي :

«أفمن هو قانت كغيره ، ثم : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن لم يشرح صدره» ؟ [1]، وإذا قارنا بين المواضع الثلاثة نجد أنها :

أولاً : تنكر المساواة بين فريقين مختلفين في العقيدة والسلوك ، وفي المنزلة عند الله .

ثانيًا : أنها ـ جميعًا ـ صدرت بحرف الاستفهام الإنكاري .

ثالثًا : أن المحذوف فيها ظاهر تعيينه لدلالة الكلام عليه ، وإن اختلف فيه أحيانًا ، والحذف مما يُمكِّن المحذوف من النفس بعد البحث عنه والتوصل إليه .

وهكذا فقد اجتمع للحذف في هذه المواضع : المسوغ والمقتضى .

وكذلك جاء حذف الخبر في قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة:٥) .

أي : حِلٌّ لكم . وقد أغنى عن ذكره التصريح به مرتين في صدر الآية ، فكان في حذفه حُسن الدلالة مع الإيجاز وعدم التكرار .

● **حذف الخبر مع «لا» النافية :**

ومن المواضع التي كثر فيها حذف الخبر «لا النافية للجنس» مثل قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ﴾ (الشعراء:٥٠) أي علينا .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ ﴾ (سبأ:٥١): أي لهم .

فالمحذوف في هذا كله الخبر إلا في آية اليائسات من المحيض فقد صح كون المحذوف الخبر وحده ، أو هو مع مبتدئه .

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ٤/٩٠ .

وهناك موضع آخر يصح فيه تقدير المحذوف ـ خبرًا ، أو مبتدءًا ـ وهو الواقع بعد «الفاء» الواقعة في جواب شرط .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة:١٨٥) .

وقوله : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ ﴾ (النساء:٩٢) .

وقوله : ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (المجادلة:٤) .

ومثله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف:١٨).

ففيما عدا الأخير جاز التقدير أن يكون هكذا : فالواجب : عِدَّةٌ من أيام أُخر ، أو : فعِدَّةٌ من أيام أُخر واجب صيامها ، وهكذا البواقي .

وفي الأخير يقدر : فأمري ، أو شأني صبر جميل ، أو : صبر جميل أمثل ، وأنت ترى أن تكثير المعنى مع الإيجاز مصاحب لهذه الأساليب مع خلوها من الإجحاف والجور على المعنى .

٤- حذف الموصوف وحذف الصفة :

جاء حذف الموصوف في الكلام الفصيح كثيرًا وهو أكثر من حذف الصفة لأنه أقوى منها ، وجاء ذلك في القرآن الكريم على صور متعددة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ (ص:٥٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ (سبأ:١٠،١١).

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ (التوبة:٨٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة:٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ (الأنعام:٣٢).

هذه مواضع حُذِفَ منها الموصوف ، لأن التقدير في الأولى : حور قاصرات الطرف .. وفي الثانية : دروعًا سابغات ، وفي الثالثة : ضحكًا قليلاً وبكاءً كثيرًا ، وفي الرابعة : المِلَّة القيِّمة ، وفي الخامسة : الحياة الآخرة .

وأرى أن السر البلاغي في حذف هذه الموصوفات ـ مما ذكرناه وما لم نذكره وهو كثير ـ هو توفير العناية بالصفة لأنها المطلوبة .

فقصر الطرف هو دليل العفة المطلوبة في كل امرأة .

والظاهر في الثانية الاهتمام بجودة الصنعة لأن المطلوب أن تكون الدرع سابغة لا مجرد درع ، فأقيمت هذه الصفة التي هي محل العناية من كل درع مقام الموصوف .

كذلك فإن القِلَّة من الضحك ، والكثرة من البكاء هما المطلوب إثباتهما دون مجرد الضحك أو مجرد البكاء .

و«القيِّمة» وصف حاز كل فضيلة فليس المراد كلمة «مِلَّة» لأن هذه تُطلق على كثير من العقائد الضالة وغيرها ، إنما المطلوب الوصف «القَيِّمة» وهو ما يفصل بين ما هو حق وما هو باطل ، فهو بالعناية أولى .

وكثيراً ما اجتزئ بالآخرة ـ وهي صفة ـ عن الحياة وهي موصوف في التعبير القرآني كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ (الضحى:٤)، وإذا كثر اتصاف الشيء بصفة واشتهر بها صلحت لأن تقوم مقامه ، وهذا الوصف «الآخرة» هو الفاصل بين الحياتين : الأولى والآخرة ؛ لأنهما جميعًا يشتركان في مطلق حياة ، فكان لهذا الوصف الذي لا اشتراك فيه فضيلة ليست لغيره .

لذلك نرى القرآن يُفرِّق بينهما حتى فيما هما مشتركتان فيه من لفظ «الحياة» إذ يقول:﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:٦٤) . فزاد في بِنية الكلمة زيادة تفيد المبالغة في إثبات المعنى ، فكاد يسلب عن الحياة الأولى معنى الحياة ، ويفيد ـ في نفس الوقت ـ أن الحياة الحقيقية إنما هي الآخرة .

وهكذا تجد في كل موضع حُذِفَ فيه الموصوف وأقيمت الصفة مقامه لم يكن الحذف اعتباطًا ـ كما يقال ـ ولا قسراً ، وإنما هو لسر يبدو فيه توفير العناية بالصفة لأمر يقتضي ذلك .

أما حذف الصفة فدون حذف الموصوف ، لأنها عرض لا تدل على نفسها إلا بذكرها ، فمن حذف الصفة في القرآن قوله تعالى : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف:٧٩) . أي صالحة .

وقوله تعالى : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأحقاف:٢٥) . أي أتت عليه .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة:٧١). أي الواضح .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ (الزخرف:٤٨) . أي السابقة ... وأسباب الحذف فيها واضحة .

فحذف صفة السفينة : «صالحة» فيه مبالغة في تصوير طمع الملك واستيلاءه على كل سفينة حتى ولو كانت غير صالحة ، فغير الصالح داخل في مأخوذ الملك ، هكذا يخيل الحذف ، ولو ذكر الوصف لزال هذا التخييل .

وهذا التوجيه أراه أكثر قيمة مما ذكر الدكتور أحمد أحمد بدوي إذ يقول : «وقد أوحى إلينا هذا الحذف بأن الملك ينظر إلى السفينة المعيبة كأنها قد فقدت حقيقتها»[1] .

لأن هذا التوجيه غير مبيِّن لسبب الحذف ، والمعنى الذي ذكره مفهوم من ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ وليس من الحذف .

والحذف في وصف الريح أفاد أن قوة الريح تمكنها من تدمير كل شيء سواء أتت عليه أو لم تأت عليه فتأثيرها ممتد إلى كل شيء ، ولو ذُكِرَت الصفة لزال هذا التخييل .

وهكذا يمكن فهم الحذف في كل موضع على أساس يخدم المعنى ولا يضره .

٥- حذف المتضايفين :

يحذف المضاف كثيراً كضرب من التوسع في اللغة ، وإيراد المعنى في قليل من اللفظ لأن المضاف إذا حُذِفَ سهل تصوره .

---

(١) من بلاغة القرآن الدكتور أحمد أحمد بدوي ص ١٢٤ .

قال الأعشى :

أَلَـمْ تَغْـتَمِضْ عَيْنَـاكَ لَيْلَـةَ أَرْمَـدَا وَبِـتَّ كَمَـا بَـاتَ السَّـلِيمُ مُسَـهَّدَا

فحذف في البيت مضافان : مضاف إلى «ليلة» ، ومضاف إلى «أرمد» والمعنى : اغتماض ليلة رجل أرمد[1] .

وقال الكلحبة اليربوعي :

فَـأَدْرَكَ إِرقَـالُ العَـرَادِةَ ظِلْعَهَـا وَقَـدْ جَعَلَتْنِـي مِـنْ خُزَيْمَـةَ أَصْـبَعَا[2]

والتقدير : ذا مسافة أصبع ، فحذف من الكلام مضافان متجاوران .

وهذا في كلامهم لا حصر له .. وكذلك جاء حذف المضاف في القرآن الكريم ، ومنه : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر:٢٢) ، و﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ (النحل:٢٦) ، و﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ ﴾ (النساء:٢٣)، و﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ (المائدة:٣)، و ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ ﴾ (النساء:١٦٠)، و﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ (يوسف:٨٢) ، و﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ (الأعراف:٨٥) ، و ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ (الأعراف:٤) .

هذه نصوص من القرآن الكريم حُذِفَ فيها المضاف ودليل الحذف واحد في الجميع هو عدم صحة تعلق الحكم المستفاد من السياق بالمذكور في اللفظ .

فالجائي : أمر ربك لا ربك ، لاستحالة ذلك عقيدة ، والآتي البنيان من القواعد : أمر الله لا الله نفسه ، والمحرم : الاستمتاع بالأمهات لا ذواتهن ، وأكل الميتة ، والطيبات : لا ذوات الميتة أو الطيبات .

والمسئول : أهل القرية ، وأهل العير لا القرية نفسها ، ولا العير نفسها ، والمرسل إليه شعيب : أهل مدين لا مدين ... وهكذا .

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام : ٦٢٤/٢ .

(٢) نسب ابن هشام البيت في المغنى إلى رؤبة . والصحيح ما أثبتناه نقلاً عن المفضليات .

والذي يهمنا في هذه المواضع السر البلاغي في الحذف لا تقصى أمثلته ، والذي أراه في هذه العبارات وما أشبهها من كل موضع حُذِفَ فيه المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه : أن سر الحذف فيه بلاغيًا هو إظهار المعنى في صورة أتم وأوضح ، وعلى وجه أقوى وأشمل .

● **مناقشة مثالين :**

أولهما : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾ .

هذه مقولة أخوة يوسف لأبيهم عندما أرادوا أن ينبئوه نبأ سرقة بنيامين أخيهم صواع الملك .

وسبق أن نبأوه نبأ فقد يوسف شقيق بنيامين بأن الذئب أكله فحصل عنده ـ أي أبيهم ـ شك فيما قالوا .

لكنهم في هذه الحالة الأخيرة صادقون ، وهم يعلمون أن هذا الخبر سيفجر في نفس أبيهم كثيرًا من هواجس الريب والظن ، فالمقام مقام اتهام لهم وإنكار لما يقولون .

فأرادوا أن يُعبِّروا عن صدقهم وأنهم في هذا الخبر صادقون ، فبالغوا في تصوير صدقهم وادَّعوا أن أمر السرقة شاع حتى إن القرية كادت تعلم به ولو سألتها لأجابت فما بالك بأهلها ؟ وحتى إن العير ـ التي هي حيوان أعجم ـ كادت تفقه أمر هذه السرقة لكثرة ما ترددت على الألسنة فلو سألتها لأجابت بما نقول ، فما بالك براكبيها ! فالسر ـ إذن ـ وراء هذا الحذف هو قصد المبالغة واشتهار أمر السرقة بدرجة لم يستقم معها شك أو تكذيب .

وأما المثال الثاني فهو قوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ (الأعراف:٤) .

وقد أجمع المفسرون على أن المراد : أهل قرية ، وهذا صحيح ، ولكن لماذا حذف المضاف إليه ؟

والجواب : إن الله تعالى ينذر الناس بأن المخالفين منهم سيحل بهم سوء المصير ، وضرب لهم من قصص السابقين مثلاً ليكون لهم فيها عظة .

ومقام الإنذار يتطلب التهويل والتعظيم في عرض ما حدث أو ما سيحدث ، لأن الإنذار مراد به التخويف ليرتدع المخالفون .

ولما كان الأمر ـ كذلك ـ فقد صوَّر الله في هذه الآية ما نزل بأهل القرى السابقين تصويرًا فيه شدة وهول ، فجعل الهلاك واقعًا على القرية نفسها بما فيها من زروع وأنهار ـ وجبال ومنازل وكل ما يتصل بها ، وإذا كان الهلاك بالغًا هذا الحد فما بالك بأهل تلك القرى التي هلكت في أنفسها . إنهم ـ لا شك ـ أكثر هلاكًا وأكثر بورًا .

والدليل على أن هدف الآية ما ذكرناه من التهويل والتعظيم في تصوير ما حدث أنها صُدِّرت بـ «كم» الخبرية التي معناها الكثرة في العدد ، وجاء حذف المضاف مفيدًا للتهويل في الكيف .

فهو على نمط : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (مريم:٤) في إفادة المبالغة والشمول .

ولنا أن نعتبر هذه العِلَّة في كل الأمثلة التي فيها حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ففي : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ (النساء:٢٣) . أي الاستمتاع بهن ، يحمل سر الحذف على إرادة العموم في المفعول ، فيكون المحرَّم كل ما لا يليق بهن من عقوق وحرمان ، وإساءة في قول أو عمل .

وهذه الأمور وإن حرِّمت بطُرق أُخرى فإن احتمال المقام لها على أنها داخلة في جملة المحرَّم هدف من أهداف الأسلوب الحكيم .

هذا في حذف المضاف ..

أما حذف المضاف إليه فدونه في الورود ولكنه مثله من حيث إنه دال على معان كان حذفه من أجلها بلاغة .

ويكثر حذف المضاف إليه إذا كان ياء المتكلم والمضاف منادى ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ (الأعراف:١٥١). فقد حذف المضاف إليه ، وهو «الياء» ، والمضاف وهو «رب» منادى كما ترى ، وقد اجتزئ عنه بالكسرة .

وحذف كذلك في المواضع الآتية :

قال تعالى : ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ (المؤمنون:٩٣-٩٩) .

في هذا النص الحكيم حذف المضاف إليه ، وهو ياء المتكلم ، والمضاف منادى وهو ما جاء عليه الحذف في الآيات إلا في موضع واحد منها وهذا جائز في اللغة .

ولكن الجواز اللغوي لا يفسر لنا السر البلاغي ، فتلك قاعدة نحوية عامة والمقاصد البلاغية اعتبارات خاصة ، فما هو السر البلاغي إذن ؟

● **وجه لحذف ياء المتكلم مع «رب» :**

وجه السر أن كلمة «رب» لا تحتاج في نسبتها إلى المتكلم إلى تلك العلامة اللفظية «الياء» فهو رب كل شيء سواء أضيف أو لم يضف ، وقد حرص القرآن الكريم على أن يستعمل هذه الكلمة محذوفًا منها ضمير المتكلم المضاف إليه في أغلب مواضعها .

هذا من حيث المعنى .. ووجه آخر من حيث اللفظ : لما كانت هذه الكلمة «رب» تستعمل كثيرًا في النداء روعي فيها وجه الخفة ، بحذف ما تضاف إليه إلا أن يكون ما تضاف إليه اسمًا ظاهرًا غير ضمير المتكلم ، فإن الإضافة لا تكمل إلا بذكر المضاف إليه كقوله تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الشعراء:٢٦) .

ولأن قوة القرينة مع الإضافة إلى ياء المتكلم ساعدت على أمر الحذف ، بخلاف غيره ، ويكثر ـ كذلك ـ حذف المضاف إليه في القرآن الكريم ، بعد الظروف والغايات مثل : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ (الروم:٤) ، وبعد «كل» و«بعض» مثل : ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس:٤٠) .

وقوله تعالى : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (البقرة:٣٦) .

وكذلك بعد «أي». مثل قوله تعالى : ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء:١١٠) .

وقد يُحذف في غير هذه المواضع كما جاء في بعض القراءات نحو قراءة مَن قرأ : ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة:٣٨). فيمن ضم ولم يُنوِّن ـ أي فلا خوف شيء عليهم ، كما قرئ : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (الزمر:٧٣) أي سلام الله عليكم ، أو على إضمار آل[1] .

وهذه المواضع مما يظهر فيها أمر الحذف والتقدير ، وهوفضلاً عن كونه من التوسع في اللغة فإن فيه فضيلة الإيجاز مع وفاء الدلالة .

٦- حذف الحال وحذف التمييز :

هاتان فضلتان الأصل فيهما عدم الحذف ، لأن الفضلة ضعيفة لا تكاد تتصور إذا حذفت ، لكنَّا وجدنا في القرآن بعض المواضع التي اعتراهما فيهما الحذف ؛ لأن الدليل عليهما في تلك المواضع من القوة بحيث أجاز ذلك الحذف .

وقد تحدث ابن هشام في المغنى[2] عن حذف الحال ، والتمييز ، وذكر بعض مواضع حذف الحال ولكنه لم يمثل لحذف التمييز في القرآن الكريم ، مع أن في القرآن مواضع جاء فيها التمييز محذوفًا .

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام : ٦٢٤/٢ (بتصرف) .

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري : ٦٣٤/٢ .

فمن أمثلة حذف التمييز في القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن أهل الكهف : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (الكهف:١٩) .

التمييز في هذه الآية محذوف تقديره : كم يومًا لبثتم ؟ ودليل الحذف : كون السائل مستفهمًا عن مدة لبثهم نائمين ، وإنما كان التقدير بـ «اليوم» دون ظروف الزمان الأخرى لأن السؤال منصب عن مدة النوم ، والنومة الواحدة لا تتجاوز ـ في العادة ـ اليوم أو بعضه .

كما جاء التمييز محذوفًا في نفس السورة في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (الكهف:٢٢) . والتقدير : ثلاثة فتيان أو أشخاص ، والمعدود معلوم الحقيقة والجنس فلذلك سُوِّغَ حذف تمييزه .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف:١٦٠)، فقد نص المفسرون على أن التمييز محذوف تقديره : قطعة ، والذي دَلَّ على الحذف أن كُلا من «أسباطًا» و«أممًا» لا يجوز إعرابه تمييزًا لـ «اثنتى عشرة» لأمرين :

أولاً : أنهما جمع ، وتمييز العدد المذكور لا يكون مفردًا منصوبًا .

ثانيًا : تأنيث جزئي العدد يدل على أن التمييز مؤنث ، إذن فهو محذوف ، فإن كان في حذف التمييز ما يؤدي إلى لبس في المعنى وجب ذكره .

ومثاله من سورة الكهف أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ (الكهف:٢٥) .

وذلك لأن العدد المذكور لم يدخل في حساب أحد منهم ، وعلمه إنما إلى الله وحده فكان لابد من ذكره ، وكذلك كان .

ثم انظر إلى عَجُز الآية حينما عطف القرآن قوله : ﴿ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ كيف عاد إلى حذف التمييز عندما سهل تصوره ، فلم يذكر تمييز التسع ، لماذا ؟

لأنه قد عُلِمَ من العطف على ما عُلِمَ تمييزه نصًّا ، فكان ذكره شبيهًا بالزيادة التي لم تدع إليها حاجة في البيان .

وهذا فن عظيم من فنون التصرف في القول لم تجده على كماله إلا في القرآن الكريم لأنه تنزيل حكيم .

أما حذف الحال فقد جاء فيه من مواضع كثيرة ، وفي كل موضع حُذِفَ فيه الحال قد قام الدليل القوي على حذفه وتقديره ، كأن يكون عاملاً قد بقي معموله ، خذ إليك مثلاً قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٣،٢٤) .

والتقدير : قائلين لهم : سلام .

فالمحذوف حال من الفاعل الذي هو الواو في « يدخلون » ، وهي ـ أي الحال ـ هنا اسم فاعل له معمول هو : « سلام عليكم » ، وهو مقول القول المحذوف الواقع حالاً ، فبقاء المعمول يتطلب تقدير العامل ضرورة ، ولذلك صح الحذف لقوة القرينة وللإسراع إلى تعجيل المسرَّة التي يوحي بها المعمول : « سلام » .

وذلك فضل الله يتلقى به أهل رضوانه .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:١٢٧) ، أي قائلين : ربنا .

فهل ترى في حذف أي منهما « الحال » و« التمييز » ـ وهما فضلتان ـ أي إجحاف بالمعنى أو قصور في البيان .

● **حذف المفعول به :**

لعلماء البلاغة بحوث رائعة في حذف المفعول ، قلبوا فيه وجوه القول ، وأولوه عناية خاصة لم يولوها لغيره من المحذوفات ، وقعَّدوا له القواعد ، وذكروا الأسباب .

● **الأغراض البلاغية لحذف المفعول به :**

١- البيان بعد الإبهام ، كما في فعل المشيئة والإرادة ونحوهما إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة .

ومثاله من القرآن : ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام:١٤٩) .

وقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ (الأنعام:٣٥) .

فإذا كان في التعلق غرابة امتنع الحذف ، ومثَّلوا له من غير القرآن بقول الشاعر :

وَلَـوْ شِـئْتُ أنْ أبْكِـي دَمًـا لَبَكَيْتُـهُ عَلَيْـهِ وَلَكِـنْ سَـاحَةُ الصَّـبْرِ أوْسَـعُ[1]

فقد صرَّح بالمفعول به ولم يحذف لأنه بكاء دم وهو غريب في العادة ولو حُذِفَ لم يُعْلَم .

وفي البيان بعد الإبهام يقول عبد القاهر : « وذلك أن في البيان إذا ورد بعد الإبهام ، وبعد التحريك له أبدًا لطفًا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ، وأنت إذا قلت : لو شئتَ ، علم السامع أنك قد علَّقت هذه المشيئة في المعنى بشيء ، فهو يضع في نفسه أن ههنا شيئًا تقتضي مشيئته له أن يكون أو لا يكون ، فإذا قلت : لم تفسد سماحة حاتم ـ عرف ذلك الشيء ، وليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت : لو شئتَ ألا تُفسد سماحة حاتم لم تفسدها .. صرتَ إلى كلام غث ، وإلى شيء يمجه السمع ، وتعافه النفس »[2].

وهذا السبب وجيه ، فلا اعتراض عليه .

٢- دفع توهم غير المراد :

ومثَّلوا له بقول الشاعر :

وَكَـمْ ذِدْتُ عَنِّـي مِـنْ تَحَامُـلِ حَـادِثٍ وَسَـوْرَةِ أيَّـامٍ حَـزَزْنَ إلَـى العَظْـمِ

---

(١) نسبه الدسوقي لأبي الهندام الخزيمي يرثى ابنه الهندام، وكذلك نسبه المبرد في الكامل: (٢/٢٥١) وابن الأثير في المثل السائر ص٣٠٣ وعبد القاهر في الدلائل ص١٢٦.

(٢) دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ص ١٨٤ .

أي حززن اللحم إلى العظم ، وإنما حُذِفَ المفعول لئلا يتوهم متوهم أن الحز كان إلى اللحم فقط ، وهذا يُشعر بتهوين أمر الملمة المدفوعة ، والمقام مقام مدح المناسب فيه عِظَم النعمة .

لذلك طوى ذكره لأنه يفهم المراد ابتداءً .

وهذا أيضًا توجيه دقيق ولا شيء فيه .

٣- إظهار كمال العناية بوقوعه على المفعول ، ومثَّلوا له بقول البحتري يمدح المعتز .

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّؤ دُدِ وَالمَجْدِ وَالمَكَارِمِ مِثْلاً

أي قد طلبنا لك مثلاً في هذه المظان فلم نجده ، فحذف المفعول الذي هو «مِثْلاً» لأن غرضه أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل دون ضميره ، وفي ذلك إظهار لكمال العناية بوقوع النفي على المفعول ، ولو ذكره لوقع النفي على الضمير فيفوت المراد .

وفي البيت توجيه آخر مؤداه : إن الحذف هنا لكراهة أن يواجه الممدوح بأن له مثلاً ، والذي أراه أن التوجيه الأول في البيت أحق بالاعتبار في توجيه الحذف ، وإن كان في التوجه الثاني رقة وعذوبة .

٤- قصد التعميم في المفعول مع الاختصار ، وقد مثَّلوا له بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ (يونس:٢٥) .

أي : يدعو كل أحد ، ويلاحَظ أن العموم مستفاد حتى مع ذكره ولذلك قالوا : «مع الاختصار» ـ ليسلم لهم التمثيل ؟

● **سبب قرآني بحت :**

٥- رعاية الفاصلة ، وهذا سبب قرآني لا غير ، أما الأسباب التي سبقت فعامة وإن كان بعضها ليس له شاهد في القرآن .

وقد مثّلوا له من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى:١-٣).

أي : وما قلاك ، فحذف الكاف الذي هو ضمير المخاطب وواقع مفعولاً به لمراعاة الفاصلة ، لأن ما قبلها كانت فاصلته الألف .

ولنا عود لمناقشة هذا التوجيه . .

٦- استهجان ذكره . ومثّلوا لذلك بحديث عائشة رضي الله عنها تصف أخلاق بيت النبوة : « فما رأيتُ منه وما رأى مني » تعني : العورة .

٧- مجرد الاختصار ، ومثّلوا له من القرآن بقوله تعالى : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ (الفرقان:٤١).

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٢).

وقد عَدَّ السكاكي[١] من الحذف لمجرد الاختصار قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ (القصص:٢٣،٢٤) .

● **خلاف حول آية :**

فقد حُذِفَ المفعول في النص الحكيم في أربعة مواضع وهي : « يسقون » - « تذودان » - « نسقي » - « فسقى » .

ويخالف الخطيب السكاكي . فيعد الحذف في المواضع الأربعة لإثبات العلم في نفسه[٢] .

وكذلك قال الزمخشري : « ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول »[٣] .

---

(١) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي .

(٢) الإيضاح للخطيب القزويني : ٢٢٧/٢ .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري .

كما يرى هذا الرأي عبد القاهر الجرجاني ، وله في توجيه هذا الحذف كلام طويل [1].

وعلى هذا فإن الخطيب والزمخشري وعبد القاهر يرون غير ما يراه السكاكي في الحذف المذكور .

وقد حاول السيد أن يوفق بين هذين الرأيين ، لكنه في النهاية مال إلى رأي السكاكي حيث قال : «فصاحب المفتاح نظر إلى أن المفعول هو الغنم المضافة إليهما ـ بنتا شعيب ـ والمواشي المضافة إليهم ، وكل واحد منهما يقابل الآخر ، فلو لم يقدر المفعول في الآية لفسد المعنى ، وهذا أدق نظرًا وأوضح معنى» [2] .

والذي يؤخذ على رأي السكاكي والسيد ، أن المفعول ما دام بهذه المنزلة عنده من الأهمية فلماذا جعل مجرد الاختصار عِلَّة الحذف ، ومجرد الاختصار حُجَّة ضعيفة ؟

● **نقد وتوجيه :**

هذا مجمل لما ذكروه من أسباب حذف المفعول وأغراضه البلاغية .. فهل ينتهي البحث البلاغي عندها ؟ أم يمكن أن يتوصل إلى أسباب وأسرار أخرى؟

وهل هذه الأسباب التي ذكروها مسلَّمة ؟ أم بينها ما يحتمل المناقشة والتعديل ؟

مع إعجابي بالبحوث القيمة التي وضعها العلماء في حذف المفعول بالذات، فإن لي على بعض توجيهاتهم تحفظات آراها ضرورية ، وهي كالآتي :

أولاً : أنهم يرون مجرد الاختصار ـ مفردًا ، أو هو مع إرادة العموم ـ سببًا بلاغيًا في حذف ما يُحذف ، وهذا لا يُسلَّم على إطلاقه فمجرد الاختصار ضمن عِلَّة أخرى للحذف قوية أمر لا يُدفع ، وليس لنا عليه ملاحظات .

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ١٨٢ .

(٢) المطول لسعد الدين التفتازاني ص ١٩٧ .

أما أن يُجعل مجرد الاختصار وحده سرًّا بيانيًّا نوجِّه به الأسلوب ، فذلك ما لا يمكن قبوله في يُسر .

وكل موضع حكموا بأن الحذف فيه لمجرد الاختصار يمكن توجيهه بلاغيًّا على غير الوجه الذي ذكروه ، فلننظر في أمثلتهم عليه .

فهم يذكرون قوله تعالى حكاية عن المشركين : ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ (الفرقان:٤١) ، ويقولون : إن الحذف فيه لمجرد الاختصار ؟

وقوله تعالى : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف:١٤٣) ، ويقولون : إن الحذف فيه لمجرد الاختصار كذلك ؟

ويذكرون قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٢) ، ويقولون : إن الحذف فيه لمجرد الاختصار أيضًا ؟

والمواضع الثلاثة تحتمل غير ما ذكروه ..

فالحذف في الآية الأولى يمكن حمله على غرض آخر مؤداه : أن مَنْ صدر منهم هذا الكلام : ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ ـ وهم المشركون ـ ينكرون أن يكون محمد ﷺ مبعوثًا رسولاً من عند الله ، لذلك صدَّروا مقولتهم بالاستفهام الإنكاري ، فإثبات الرسالة له أمر لا تساعدهم عليه أنفسهم ولذلك جاء التعبير مصوِّرًا للقلق النفسي الذي كان يساورهم من أمر الرسالة ، حيث حذف المفعول لأنهم يكرهون وقوع بعثه رسولاً في الواقع ، لذلك لم يوقعوا الفعل « بعث» على ضميره ليطابق اللفظ حالتهم النفسية .

● كراهة نسبة الرسالة هي السبب :

إذن فكراهة نسبة الرسالة إلى محمد ﷺ في الواقع وفي اللفظ هي التي أوحت بحذف المفعول ، وهذا الحذف يُصوِّر لنا ما وراء اللفظ من خفايا نفوسهم وظواهرها ، لا أن الحذف جاء لمجرد الاختصار ـ كما يقولون !

ولهذا نظير عندهم من غير باب حذف المفعول ، وهو قول الشاعر :

إذَا سَـــئِمَتْ مُهَنَّـــدَهُ يَمِـــينٌ لِطُـــولِ العَهْـــدِ بَدَّلَـــهُ شَـــمَالاً

والأصل : يمينه ، أي يمين الممدوح ، فحذف الهاء الواقع مضافًا إليه ، وعللوه بقولهم « إنه لكراهة إسناد السأم ليمين الممدوح ، فأخرج الكلام مخرج مطلق يمين لا يمينه هو .

والآية الثانية : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ (الأعراف:١٤٣) . قدَّروا فيها المحذوف : ذاتك ، وحملوا حذفه على مجرد الاختصار .

● عزة المطلب هي السبب :

فلماذا لا يكون الحذف لأن نفس موسى عليه السلام لا تساعد عليه ـ لعزة المطلب ـ لذلك طوى في نفسه ذكره ولم يصرِّح به .

والواقع يشهد بذلك ، فإن الناس إذا سأل بعضهم بعضًا ، وكان موضوع السؤال عظيمًا فإن السائل يتلجلج أمام المسئول ولا يكاد يُفصح عن المطلوب .

فسبب الحذف في الآيتين نفسي مع الاختلاف في البواعث ، ففي حذف المفعول في قوله تعالى حكاية عن المشركين : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ (الفرقان:٤١) كان السبب نفسيًّا باعثه كراهة إيقاع الفعل على ضمير المسنَد إليه ليطابق اللفظ الشعور .

أما في قوله حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ فإن السبب نفسي كذلك هو الرهبة والإجلال والطمع في مطمع .

وذلك ـ فيما أرى ـ أولى من اعتبار عِلَّة الحذف فيهما مجرد الاختصار .

أما الآية الثالثة فقد كفانا الخطيب القزويني مؤنة البحث فيها فقال : « يجوز حمل الحذف فيها لأن الغرض إثبات الفعل في نفسه فيكون التقدير : وأنتم من أهل العلم والمعرفة »[1].

● مجرد الاختصار وحده لا يكفي :

فمجرد الاختصار ـ إذن ـ عِلَّة سلبية لا تفسر الأساليب تفسيرًا بلاغيًّا ،

---

(١) الإيضاح للخطيب القزويني : ٢/٢٢٧ .

والظاهر أن علماء البلاغة كانوا يحملون عليها كل حذف لم يتبين لهم فيه وجه ظاهر من الاعتبارات المناسبة .

فأولى بالباحث الحديث أن يكون من هذا السبب على حذر لأنه يحجر على الفهم ولا يغني عن البحث .

ثانيًا : أنهم يعتبرون ـ كذلك ـ رعاية الفاصلة سببًا من أسباب الحذف وغيره من مظاهر التعبير المخالفة للظاهر أو العُرف اللغوي ، وهي كثيرة جدًّا في القرآن الكريم .

وقد أحصى منها ابن الصائغ أكثر من أربعين موضعًا زعم أن الحذف فيها وغير الحذف من أجل رعاية الفواصل أو مطابقة رءوس الآي ، ولكنه عاد فقال :

« إن هذه المواضع تحتمل وجوهًا أخرى غير مناسبة الفواصل ، وقد نقل عنه ذلك السيوطي وقال : إن لشمس الدين ابن الصائغ الحنفي كتابًا سماه « إحكام الرأي في أحكام الآي » ذكر فيه هذه الوجوه .

والأمثلة التي ذكرها ابن الصائغ فإن الظاهر فيها أنها ليست لرعاية الألفاظ بل لدواع أخرى غيرها ، وقد ناقشنا بعضها فيما تقدم .

● **ورعاية الفواصل وحدها لا تكفي :**

والحق أن رعاية الفاصلة سبب أقوى من مجرد الاختصار ، وهو مع قوته ينبغي عدم التعويل عليه وحده في توجيه الظواهر الأسلوبية .

وهذا أمر أمكن التوصل إليه في يُسر ، فلننظر فيما ذكروه من أمثلته .

إنهم ذكروا قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى:٣) ، وقالوا : إن المفعول حُذِفَ لرعاية الفواصل .

ويقول الزمخشري[1] : « إنه اختصار لفظي مثل : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (الأحزاب:٣٥) : أي والذاكراته ، وسببه عند الزمخشري ـ أي

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري : ٦١١/٤ .

سبب الاختصار اللفظي ـ ظهور المحذوف والأولى ـ فيما أرى ـ أن يكون السبب في الحذف ـ هنا ـ كراهة مواجهة الرسول ﷺ بأنه موضع قِلَى من الله ، ولو وقع ذلك في سياق النفي فإن الذوق البلاغي يقتضيه ، وقد أشار إلى ذلك ـ فيما أذكر ـ الخطيب في الإيضاح .

ولهذا نظير في القرآن الكريم من اللطف في الخطاب مع النبي عليه السلام حتى في أشد مواضع العتاب كقوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ (عبس:١،٢) . فلم يواجهه بالعبوس والتولي .

وقال : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة:٤٣) . فقدَّم العفو على سبب العتاب ... وغير ذلك كثير .

وإنما لم تكن رعاية الفصل بين الآيات سببًا وحده في الحذف وغيره ، لأنها مظنة السجع المتكلف ، فلذلك ينبغي الحيطة في مثل هذه الأمور ، وبلاغتنا العربية عنية بالاعتبارات المناسبة في توجيه الأسلوب في غير ما سرف أو قصور .

ثالثًا : حذف جملة فأكثر

أما حذف جملة فأكثر ، فإن القرآن قد حفل بكثير منه ، وقد وضع العلماء لهذا النوع ضوابط نوجزها فيما يلي :

أولاً : حذف السؤال المقدَّر ويسمى «الاستئناف» ويأتي على وجهين :

١- إعادة الأسماء والصفات ، وقد مثَّلوا له من غير القرآن الكريم بقولهم أحسنت إلى زيد ، زيد حقيق بالإحسان .

وقولهم : أحسنت إلى زيد ، صديقك القديم حقيق بالإحسان .

وقد صرَّح ابن الأثير بأبلغية الثاني ، وهو ما كان المعاد فيه صفة لاشتماله على موجب الإحسان[1].

---

(١) المثل السائر لابن الأثير : ٢/٢٨١ .

ومثّلوا له من القرآن بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة:٢-٥).

والاستئناف وارد قبل «أولئك» كأن سائلاً سأل : فما بال المتصفين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟

فأجيب : إن الذين اتصفوا بهذه الصفات غير مستبعد أن يفوزوا ـ دون الناس ـ بالهدى عاجلاً والفلاح آجلاً [1].

٢- الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات ، ومثّلوا له من القرآن بقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾

(يس:٢٢-٢٧) .

وتقدير السؤال المحذوف : كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه ؟ فقيل : ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

وإلى هنا يسكت ابن الأثير .. والظاهر أن في الآية استئنافًا آخر قبل قوله : ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ .. وتقديره : فماذا قال حين قيل له ادخل الجنة؟

فأجيب : ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثانيًا : الاكتفاء بالسبب عن المسبب ، وبالمسبب عن السبب ، ومثّلوا للأول بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ

---

(١) المثل السائر لابن الأثير : ٢/٢٨١ .

ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾

(القصص:٤٤،٤٥) .

فقد ذكر سبب الوحي ، وهو تطاول العمر ، ودَلَّ به على المسبب الذي هو الوحي ، أما الثاني ـ وهو الاكتفاء بالمسبب عن السبب ـ فقد مثَّلوا له بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (النحل:٩٨).

والتقدير : إذا أردت قراءة القرآن ، فاكتفى بالمسبب ، الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الإرادة .

وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة:٦٠).

والتقدير : فضرب فانفجرت .

ثالثًا : الإضمار ـ على شريطة التفسير وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره ، فيكون الآخر دليلاً عليه[١] وهو ثلاثة أنواع :

الأول : أن يأتي على طريقة الاستفهام ، فتُذكر الجملة الأولى دون الثانية مثل : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر:٢٢) .

والتقدير : أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه[٢]، ودليل الحذف قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾[٣] .

الثاني : أن يأتي على حدي النفي والإثبات ، ومثَّلوا له بقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ﴾ (الحديد:١٠) .

(١،٢) المثل السائر لابن الأثير : ٢/٢٨٧ .

(٣) سبق أن في الآية وجوهًا أخرى .

والتقدير : لا يستوي منكم مَنْ أنفق من قبل الفتح وقاتَلَ ، ومَنْ أنفق من بعده وقاتَلَ . ودليل الحذف : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ﴾[1].

الثالث : أن يأتي على غير هذين فلا يكون استفهاما ولا على حدي النفي والإثبات ، ومثَّل له ابن الأثير بقول أبي تمام :

يَتَجَنَّبُ الآثَامَ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ

قال : وفي صدر البيت إضمار مفسَّر في عجزه ، وتقديره : «أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ، ثم يخاف تلك الحسنة ، فكأنما حسناته آثام»[2].

يرى ابن الأثير أن البيت طباق قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (المؤمنون: ٦٠).

لكن المفسرين فسَّروا هذه الآية على غير ما يراه ابن الأثير ، يقول الزمخشري في معناها : «الذين يعطون ما أعطوا» أي الذين يفعلون الخيرات وهم وجلون من ربهم أن لا يتقبل منهم .

ونقل حديثًا روته عائشة عن النبي ﷺ يؤيد ما ذكره ، وكذلك رأى الإمام النسفي في تفسيره قال : «الذين يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وهم خائفون ألا يُقبل منهم لتقصيرهم»[3] .

وعلى هذا فإن ما يراه ابن الأثير من تطابق الآية والبيت غير دقيق .

وأظهر من البيت المذكور في التمثيل له قول الشاعر[4] :

سُنَّةُ العُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

لأن المعنى : سُنَّة العشاق واحدة هي الاستكانة ، فإذا أحببتَ فاستكن .

(١، ٢) المثل السائر لابن الأثير : ٢/٢٨٨ .

(٣) تفسير النسفي : ٣/١٢٢ ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، الجزء الثالث .

(٤) هو أبو نواس .

أما مثاله من القرآن فأولى أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠) .

فقد قال المفسِّرون : « وجعلنا ابن مريم آية ، ثم حُذِفَت الأولى لدلالة الثانية عليها » .

والحذف من الأول لدلالة الثاني عليه كثير في كلامهم .

رابعًا : ما ليس بسبب ولا مسبب ولا إضمار - على شريطة التفسير ولا استئناف .

أي إن الحذف هنا ليس له ضابط معيَّن ، فهو يشمل كل حذف بعد الأنواع الثلاثة المذكورة وهو - بحق - كثير جدًّا في القرآن ، وأكثر ما يكون في القصص ولا حد لمقدار ما يُحذف فيه .

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى يحكي طرفًا من قصة يوسف عليه السلام في السجن : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (يوسف: ٤٥-٥١).

في هذا النص الحكيم حذف في أربعة مواضع ، والمحذوف ليس حرفًا ولا كلمة مفردة بل كلام كثير ، وتلك المواضع هي :

أولاً : عندما طلب الذي نجا من الفتيين أن يرسلوه إلى يوسف ، وتقدير المحذوف فيه : إلى يوسف فاستجابوا له فأرسلوه فلما مثل أمامه قال له ....

ثانيًا : بعد أن نبأه يوسف بحقيقة الرؤيا ، والتقدير : فرجع إليهم فقص لهم ما قاله يوسف .

ثالثًا : بعد أن طلب الملك أن يأتوه بيوسف ، والتقدير : فأرسلوا ليوسف رسولاً ليأتي به إلى الملك فلما وصل إليه أعلمه بأمره قال .....

رابعًا : حين عاد الرسول وأبلغ الملك رغبة يوسف ، والتقدير : فلما رجع الرسول إلى الملك وأبلغه رغبة يوسف أرسل الملك إلى النسوة اللاتي قطعن أيديهن وسألهن قائلاً .....

والمحذوف في المواضع الأربعة ظاهر موضعه سهل تصوره .. إذ لا يستقيم الكلام إلى بملاحظة المحذوف ودليل الحذف فيها أو قرينته أن هذه الأحداث يحكمها أمران هما : الترتيب الزمني بينها ، ثم التلازم الطبيعي .

أما الترتيب الزمني .. فأمره واضح ، إذ تجرى أحداث هذه القصة على نسق وقوعها : السابق سابق ، واللاحق لاحق ، فلم يتداخل حدثان في زمن واحد .

وأما التلازم الطبيعي .. فمن حديث أن هذه الأحداث ما طوى ذكره منها ... وما ذُكِرَ ولم يُطو .. بينها صلات وثيقة فبعضها مقدمة طبيعية لبعض ، أو لازم له .

ففي الموضع الأول لا يُتصور سؤال الرسول ليوسف عليه السلام إلا بعد تصور استجابة طلبه والإذن له بالذهاب إلى يوسف ثم الوصول إليه ومثوله أمامه .. هذه الفجوات متروكة بلا إشارة ، لأنها واقعة بين طرفين هي واسطتهما ، على طريقة قص المناظر (في الأدب المسرحي والتمثيلي الحديث) .

وما دام الفكر يهتدي إليها في يُسر وسهولة ، فإن ذكرها ـ والحالة هذه ـ ليس بمستساغ ، ذلك سر الحذف .

يُضاف إليه أن أولى فنون التعبير بالإيجاز والحذف والإجمال هو القصص لأنه يعالج كثيرًا من المواقف ويسرد كثيرًا من الأحداث ، فمن خصائصه أنه

يحتاج إلى كثير من البيان حتى يكمل بناء القصة ، وتؤدي غرضها الجمالي والأخلاقي ، لذلك كانت القصة ميدانًا للاختصار والحذف ، وفي حاجة ماسة إلى التركيز والإجمال ، وكذلك جاء القصص القرآني .

ومن حذف الجمل في القرآن الكريم أمور :

- **حذف أداة الشرط وفعله :**

ويكثر هذا بعد الطلب[1] نحو : ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٣١)، أي : إن اتبعتموني .

ونحو : ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (إبراهيم:٣١) . أى : أن تقل لهم .

وجعل منه الزمخشري قوله تعالى : ﴿ فَلَن تُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ (البقرة:٨٠) ، أي إن اتخذتم عند الله عهدًا .

كما جعل منه أبو حيان قوله تعالى[2] : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة:٩١) . أي : إن كنتم آمنتم بما أنزل الله إليكم فلم تقتلون ؟

ويجوز أن يجعل منه قوله تعالى : ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ (مريم:٥،٦) ، على قراءة من جزم الفعل وجعل منه السعد[3] وابن الأثير[4] وقوله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت:٥٦).

وجعلا الفاء في « فاعبدون» واقعة في جواب شرط محذوف تقديره :

إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها ، فحذف الشرط وعوَّض منه تقديم المفعول لإفادة الاختصاص .

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي .

(٢) من معترك الأقران : ٣٣٢/١ .

(٣) المطول لسعد الدين التفتازاني .

(٤) المثل السائر لابن الأثير : ٣١٧/٢ .

- حذف جواب الشرط :

وهو كثير في القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنعام:٣٥) . أي فافعل ..

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (يس:٤٥) ، أي : أعرضوا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ ﴾ (السجدة:١٢) . أي : لرأيتَ أمرًا عظيمًا .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور:٢٠) . أي : لعذَّبكم .

ومنه الآيات الآتية:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (سبأ:٥١) [1] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

(الرعد:٣١) .

فحذف جواب الشرط عام فيما كانت الأداة فيه جازمة أو غير جازمة ، كما في الأداة « لو » في الموضعين المذكورين .

فإذا لم يتضح جواب « لو » وجب ذكره ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (الحجر:١٤،١٥) .

وكذلك حذف جواب « لما » في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(الصافات:١٠٣-١٠٥).

---

(١) وقد مر بيان هذه الآية فيما سبق ص ٣٦ .

- حذف جواب القسَم :

ما أكثر حذف جواب القَسَم في القرآن ، وقد جاء ذلك في مطالع السور مثل : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴾ (النازعات:١)، ومثل : ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ (ص:١) ، ومثل : ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ (ق:١) ، ومثل : ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ﴾ (الفجر:١،٢).

وتقدير الجواب في الأول : لتبعثن ، وفي الثاني : إنه لمعجز - يعني القرآن ، وفي الثالث : ليس الأمر كما زعموا ، وفي الرابع : ليعذبن .

هذا في مطلع السور ، أما في درج الكلام فإن السيوطي يرى في قوله تعالى : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا ﴾ (النمل:٢١). إن جملة القسم محذوفة .. والتقدير : والله قسمي .

وفي حذف الشرط أو جوابه أو حذف جواب القَسَم فإن دليل الحذف ما بقي من الأجزاء ، أما السبب البلاغي فلتقدره النفس بأي صورة مناسبة وفيه تكثير المعنى فقد قدر صاحب النحو الوافي جواب القَسَم في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ ﴾ (الرعد:٣١) . بقوله : ما نفعكم ، وقدَّره المفسرون بقولهم : لكان هذا القرآن .. وهو أرجح مما ذهب إليه صاحب النحو الوافي .

● أنواع الحذف :

ذكر السيوطي في كتابه «معترك الأقران»[1] أن الحذف يأتي على أربعة أنواع هي : **الأول : الاقتطاع**

وهو حذف بعض أحرف الكلمة لغير عِلَّة صرفية أو نحوية[2] ، وقد حكى السيوطي أن ابن الأثير يمنع ورود هذا النوع في القرآن الكريم ، ثم ذكر رأي المؤيدين لوروده فيه ذاكرًا أمثلتهم وأدلتهم كورود الحروف المقطعة في أوائل

---

(١) الجزء الأول ص ٣١٩ .

(٢) هذا القيد زيادة أرى ضرورة إثباتها للفصل بين الحذف الذي ينشأ عن العلل النحوية والصرفية ، والحذف الذي يسمونه : الاقتطاع لاختلاف أمثلتهما .

السور - على رأي مَن يقول إنها ترمز إلى أسماء الله - ثم قال : .. وادعى بعضهم أن «الباء» في قوله تعالى : ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ (المائدة:٦) أول كلمة «بعض» ثم حذف الباقي ، ومثل قراءة : «ونادوا يا مال» بالترخيم[١].

ويبدو أن السيوطي يميل إلى رأي ابن الأثير في إنكاره ورود هذا النوع في القرآن على الرغم من أنه ذكر أمثلة أخرى منها حذف همزة «أنا» في قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ (الكهف:٣٨)، إذ جعل التقدير : لكن أنا هو الله ربي .

وكذلك أورد أربعة أمثلة أخرى لقرَّاء مختلفين : «ويسمك السماء أن تقع علرض» . و .. «وبما أنزليك» و «من تعجل في يومين فلثم عليه» و«إنها لحدى الكبر» .

وقد راجعتُ كلام ابن الأثير في ذلك ، فلم أجده قد صرَّح بعدم وجوده بل اكتفي بتعليقه على بعض أمثلته من غير القرآن بقوله : «فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن وإن كانت العرب قد استعملته فإنه لا يجوز لنا أن نستعمله»[٢] .

والمثال الذي علَّق عليه ابن الأثير هو قول الشاعر[٣] :

كَـأنَّ إبْـرِيَقَهُمْ ظَبْـيٌ عَلَـى شَـرَفٍ مُقَـدَّمٍ بِسِـبَا الكِتَّـانِ مَلْثُـومُ

والتقدير : بسبائب الكتان .

والذي أذهب إليه أن ابن الأثير قد جانبه التوفيق في إنكاره ، ومن أقوى الأدلة عليه ما ذكره السيوطي نفسه من أمثلة تقدم ذكرها .

على أن في القرآن أمثلة أخرى لم يذكرها السيوطي ، وأكثر ما يكون ذلك في أسماء المصادر مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ (نوح:١٧). والأصل : إنباتًا .

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي : ٣١٩/١ .

(٢) المثل السائر لابن الأثير : ٣٣٢/٢ .

(٣) هو علقمة بن عبدة الفحل : المرجع السابق (٣٣٢/٢) وما بعدها .

ولعل السر في العدول عن الأصل أمران :

الأول : لفظي وهو التخلص من كسرين يؤديان إلى نوع ما من الثقل إذا قارنا بين الصورتين : الأصلية ، والتي عليها التعبير ؛ لأن «الضاد» من أرض مكسورة كما أن «الهمزة» من المصدر ـ وهي أول حرف فيه ـ مكسورة .

الثاني : معنوي لأن المصدر «إنباتًا» يدل على مجرد الحَدَث ، أما اسمه «نباتًا» فيدل على صورة النبات بعد خلقه وترعرعه ، فضلاً عن دلالته على الحَدَث ، ولا شك أن ما دل على معنيين أولى مما دل على معنى واحد ، والمقام هنا يقتضي ذلك لأنه بيان لقُدرة الله سبحانه .

وقد جيء بالمصدر الأصلي في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح:١٨) والمقام واحد .

فلماذا إذن خولف نسق الآية الثانية عن نسق الأولى ؟

والجواب من وجهين :

أولاً : لأن ما أطلقنا عليه «ثقل لفظي» في الأولى لو جيء بالأصل ، زال هنا في هذه الآية لسكون ما قبل همزة المصدر المكسورة .

ثانيًا : لأنه لو قال : «خروجًا» بدل «إخراجًا» ، والخروج مصدر خرج اللازم لأشعر ذلك ـ ولو في الوهم ـ أن الناس مختارون لخروجهم من المقابر خارجون بقدرتهم ، وهذا الفهم لا يستقيم مع المقام ، وإنما لم يراع هذا الوجه في الأولى لأن النبات لا تُتصور له إرادة محضة ، ومنه كذلك حذف الياء من قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام : ﴿ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (الكهف:٦٤).

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (الفجر:٤) . فقد جاء حذف الياء في الموضعين واجتزئ عنهما بالكسرة وبهذا يتضح ضعف ما ذهب إليه ابن الأثير .

الثاني : الاكتفاء

وهو ما يقتضي المقام فيه ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة[1] ويختص غالبًا بالارتباط العطفي كقوله تعالى : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ (النحل:٨١) . أي والبرد : وفي تخصيص الحر بالذِّكر دون البرد قيل : لأن الخطاب أصلاً كان للعرب وهم في بلاد حارة ، فذكر ما هو أهم وهذا أوجه ما قيل في توجيه الآية[2] .

وقوله تعالى : ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ (آل عمران:٢٦)، أي والشر ، وذكر الخير دون الشر لرغبة الناس فيه ، أو لأنه أكثر وجودًا من الشر ، ذكر الرأيين السيوطي في المعترك أيضًا[3] .

ومن أمثلته أيضًا الآيات الآتية : ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (الأنعام:١٣) .

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (البقرة:٣).

والتقدير في الأولى : وما تحرك ، وخص السكون لأنه الأصل ، والتقدير في الثانية : والشهادة ، وخص الغيب بالذكر لأنه أدخل في باب المدح ، ولاستلزامه الإيمان بالشهادة .

وهناك أمثلة كثيرة لهذا النوع فلنكتف بما ذكرناه .

الثالث : الاحتباك

وهو أن يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول .

ويطلق عليه الزركشي : «الحذف المقابلي» فيقول : «هو أن يجتمع في الكلام متقابلان . فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه»[4].

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي : ٣٢٠/١ .

(٢) نقل السيوطي في المعترك (٣٢٠/١) وجوهًا أخرى هذا أحسنها .

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي : ٣٢١/١ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ١١٩/٣ .

ومبنى هذه التسمية من الحبك ، وهو الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب ، فحبك الثوب شد ما بين خيوطه بحيث يمنع عنه الخلل[1] وأصله من قولهم : بعير محبوك العرى : أي محكمها ، والاحتباك شد الإزار[2] .

فكأن هذا النوع من الحذف يُكسِب الكلام قوة وزينة ، القوة من حيث استيفاء الأقسام ، والزينة من حيث الحذف المتناظر ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:١٧١) .

والتقدير : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق ، والذي ينعق به ، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه[3].

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ (النمل:١٢)

والتقدير : تدخل غير بيضاء ، وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف من الأول : تدخل بيضاء ومن الثاني : وأخرجها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأحزاب:٢٤) .

والتقدير : يعذب المنافقين فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم ، وهذا فن بديع فيه روعة وخلابة .

قال السيوطي : ومن لطيفه قوله تعالى : ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ (آل عمران:١٣) . أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت[4] .

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي : ٣٢٣/١ .

(٢) مفردات القرآن الراغب ص ١٠٦ .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري : ١٦٠/١ .

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي : ٣٢٢/١ وما بعدها .

قال الكرماني : «وله في القرآن نظائر وهو أبلغ ما يكون من الكلام» حكاه عنه السيوطي في المعترك .

وأنت ترى أن هذا الأسلوب شبيه بالميزان الدقيق الحساس .. فما أحرى أن يسمى به .

الرابع : الاختزال

وهو ما ليس واحد مما سبق ، والمحذوف فيه إما اسم أو فعل أو حرف أو أكثر ، وإلا ظهر أن يسمى «الحذف العام» لأنه لا يمكن التفرقة بينه وبين الأقسام الثلاثة المتقدمة لا من حيث المحذوف ، ولا من حيث كيفية الحذف ، فأمثلته ـ إذن ـ هي ما تقدم لأنه يشمل حذف المضاف والمضاف إليه ، والصفة والموصوف والفعل وهكذا .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (البقرة:١٩٧) ، أي حج أشهر .

وقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ (النساء:٢٣) . أي نكاح أمهاتكم .

وقوله تعالى : ﴿ لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ (الإسراء:٧٥) أي ضعف عذاب .

وقوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ (الروم:٤)أي من قبل الغلب ومن بعده .

وقوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ ﴾ (الشعراء:٦٣) .. أي فضرب فانفلق ..

وهكذا .. فأنت ترى أن ما سموه من الحذف بالاختزال شامل لجميع الأقسام على ما بيَّناه فليس له من نصيب إلا التسمية .

● والخلاصة :

صاحبنا القرآن الحكيم في هذا الفصل في بعض مواطن الحذف فيه ، والذي يدعوه البلاغيون : «أحد مظاهر الإيجاز» ؛ وهو أن يكون المعنى المفهوم من اللفظ أكثر من الألفاظ التي استُعملت فيه ، وهذه فضيلة واحدة عامة من فضائل الحذف في القرآن ـ أعني الإيجاز المذكور ـ وليس الحذف القرآني ينتهي عند هذه الفضيلة المسماة بالإيجاز ، بل له فضائل بيانية أخرى تكاد تتعدد بتعدد مواضع وروده ، وخصائص الحذف القرآني ـ فيما أرى ـ يمكن تلخيصها في الآتي :

● خصائص الحذف القرآني :

أولاً : سلامته من الإجحاف بالمعنى والخلل في الأسلوب فكل حذف فيه يحكمه أمران :

(أ) دليل قوي يعين على تصوره وقد يعينه تعيينًا أحيانًا ، وكل منهما ـ أي التصور والتعيين ـ بليغ في موضعه ، ففي قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (يوسف:١٨) يحصل تصور المحذوف دون تعيينه ، فيجوز أن يقدَّر التركيب على هذا الوجه : فأمري صبر جميل ، ويجوز أن يكون : فصبر جميل أمثل ، وفي هذا تكثير للفائدة .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ (البقرة:٦٠). يمكن تعيين المحذوف ، والتقدير لا محالة : فضرب فانفجرت .

وقد أفاد هذا الحذف مع الإيجاز سرعة حصول الانفجار[1] والسرعة هنا مطلوبة لأن المقام مقام طلب للنجاة من فرعون وقومه .. وقد كرر هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ ﴾ (الشعراء:٦٣) . فاتحد الموضعان في الحذف والغرض .

---

(١) تفسير أبو السعود ١٢٩/١ .

ويمكن أن نفهم من هذين الموضعين ـ فوق فضيلة الإيجاز ، وفوق معنى السرعة ـ معنى ثالثًا لم أجد أحدًا قد نص عليه .

وهو أن الحذف يشير فيهما إلى سرعة امتثال موسى عليه السلام لأمر ربه ، حتى إن الزمن بين تلقيه الأمر وتنفيذه لا يكاد يُذكر لقصره وذلك يكشف لنا ـ أيضًا ـ أن موسى عليه السلام كان متلهفًا لما يشير عليه به ربه في التصرف أمام الأزمات .

(ب) الداعي البلاغي الذي دعا إلى الحذف ، وهذا الداعي على ما وضع فيه البلاغيون من بحوث قيِّمة وثرية ، ما زال موردًا بِكرًا في القرآن الكريم ، فالباحث في مواضع الحذف في القرآن واجد جديدًا لم يشر إليه القوم وقد بان لنا ـ نحن ـ في غضون هذا الفصل نصيب من ذلك الجديد ، مثل ما ذكرناه في توجيه الحذف في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ (يوسف:٨٥) . من أن الحذف كان لضيق المقام ، ومثل ما ذكرناه من توجيه الحذف في قوله تعالى حكاية عن المشركين : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ (الفرقان:٤١) . حيث أرجعنا حذف عائد الصلة إلى أمر نفسي هو كراهية إيقاع الفعل المفيد لإثبات الرسالة للنبي ﷺ على ضميره ، لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه .. والبلاغيون يعدون الحذف فيه من مجرد الاختصار .

وقوله تعالى : ﴿ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف:١٤٣) ، حيث أرجعنا الحذف فيه إلى عامل نفسي كذلك هو الرهبة والإجلال والطمع في غير مطمع .

والبلاغيون يعدونه ـ كذلك ـ من مجرد الاختصار .

ومثل ما ذكرناه من توجيه الحذف في قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى:٣) ، من أن حذف المفعول فيه كراهية مواجهة النبي ﷺ بأنه موضع قِلَى من الله ، أو للإشعار بمنزلته عند الله فلذلك لم يوقع على ضميره فعل مكروه ، والمجال ـ بعد ـ مفتوح أمام النظر العميق الفاحص ، وهذا مورد لا ينضب .

ثانيًا : أن كل موضع حُذِفَ فيه منه شيء فالحذف فيه أبلغ من الذِّكر من حيث المعنى فليس في القرآن حذف ألبس أو أخل كقول الشاعر :

وَالعَيشُ خَيْرٌ فِي ظِلالِ   النَوْكِ مِمَّنَ عَاشَ كَدًّا

حيث حذف فألبس وأخل ، وظل لفظه دون معناه ، لأن مراده العيش الناعم ولذلك عابره وحكموا بقصوره .

• شهادة عدلين :

وأكاد أجزم أن عبد القاهر حينما قال : « ما من اسم حُذِفَ في الحالة التي ينبغي أن يُحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره »(١) .

إنما كان يعني الحذف في القرآن على أن يُحمل كلامه على جميع صور الحذف ، سواء أكان المحذوف اسمًا ، أو فعلاً ، أو حرفًا ، أو جملة ، أو أكثر من جملة .

ونختم هذا الفصل بشهادة أديب ذوّاق ، وناقد فاحص :

« إن القرآن حين يحذف فيه ما يحذف من مشاهد وأحداث يحمل السامع أو القارئ على المشاركة في بناء ما يمكن أن يقص ، تنشيطًا لخياله ، وتحريكًا لوجدانه ، فيظل ـ أبدًا ـ مأسورًا لما يسمع أو يقرأ ، ماضيًا على هوى نفسه ، وقد استمتعت نفسه بكل مزايا الفن الجميل ، مؤمنًا بما يهدف إليه القصص القرآني من مُثل عليا وآداب رفيعة ، وذلك لأن القرآن يحيل الجمال الفني أداة للتأثير الوجداني ، فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية »(٢) .

هذا النص الموقف ، وإن كان خاصًّا من حيث قصد كاتبه بالقصص القرآني ينطبق على مظاهر الحذف في القرآن جميعها ، فلكل حذف فيه نصيب .

* * *

---

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني .

(٢) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ص ١٤١ .